صمويل بيكيت



13.9.2015

نهايـة اللعبة



ترجمة وتقديم:
بول شاوول

منشورات الجمل

صمويل بيكيت

نهايـة اللعبة

مسرحيـة

ترجمة وتقديم:

بول شاوول

منشورات الجمل

صمويل بيكيت: نهاية اللعبة

صموئيل بيكيت: **نهاية اللعبة**، مسرحية، الطبعة الأولى
ترجمة وتقديم: بول شاوول

تلفون وفاكس: ٣٥٣٣٠٤ ١ ٠٠٩٦١
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Samuel Beckett: *Fin de partie* (pièce en un acte), 1957

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

مقدمة

«نهاية اللعبة» هي المسرحية الثانية التي كتبها صموئيل بيكيت بعد «في انتظار جودو» ويعتقد النقاد أن هذه المسرحية أكثر بلورة وقوة، وكثافة، وتقنية، (أي درامية) من مسرحيته الأولى. وإذا كان بيكيت في هذه المسرحية الأولى «في انتظار جودو» جرّب في الكتابة المسرحية أشياء من الرواية والشعر، فإنه في مسرحيته الثانية امتلك وبسرعة مذهلة الأدوات والتقنيات المسرحية التي تجسّدت خصوصاً في اللغة، وفي تحريك الشخصيات، والحوار والحركات.

البعض يعتبر أن «نهاية اللعبة» هي الثانية في ثلاثية تبدأ بـ«في انتظار جودو» وتنتهي بـ«الشريط الأخير»، ولكن هذا الاعتبار يفترض أن بيكيت أحدث تحولاً أو تغييراً في مساره المسرحي، لتشكل هذه الأعمال الثلاثة «بنية» تختلف عما أعقبها من مسرحيات: «آه من الأيام الجميلة»، «فصل بلا كلام»، «كلمات وموسيقى»، «كل الذين يسقطون»، «كوميديا»، و«قل يا جو». . وإذا تفحصنا مجمل هذه الأعمال، ومجمل أعمال بيكيت يمكننا القول كأنها عمل واحد، بلغة تقريباً واحدة، وبمناخات واحدة، وبشخصيات تخرج من بعضها وتتشابه حتى التطابق أحياناً، بيكيت من أصحاب العمل الواحد تماماً كيونسكو في المسرح وبودلير ومالرمة وسان جون برس وربنه شار في الشعر،

وجاكومبتي ودالي في الفن التشكيلي. وهؤلاء لا يفجرون مراحل (كما الحال مثلاً عند بيكاسو في الرسم وعند هنري مشو في الشعر)، بقدر ما يعمقون مرحلة واحدة، يكررونها، ويبلورونها، ويتعاطون لغة واحدة، وإن أخفت في تضاعيفها تنويعات لا حدود لها. وبيكيت في هذا المجال ليس كاتب «مراحل» فالمراحل تفترض «اعترافاً» بتحولات زمنية وصيرورة، وأحياناً «رقماً» وأعرافاً، ونظماً، وبيكيت كاتب سكوني، جواني، لازمني، كأنه لا يزال أمام الشجرة التي وصفها في «في انتظار جودو» ومع استراجون وفلاديمير، والقبعات والحبل، ومن ثم مع هام وكلوف وناج ونيل وكراب. . وأمام اللحظة التي لا تتحرك، والزمن في نقطته الصفر، والساعة المعطلة، والوجوه والتقاسيم والملامح والقامات التي تنقرض في لحظاتها الأخيرة. أو بالأحرى في شقوق لحظاتها الأخيرة. وكما قلنا في كلامنا على مسرحية «في انتظار جودو» فإن بيكيت ليس من أنصار (هراقليط) ولا الفكر الصيروري ولا الجدلي، وتتحرك أعماله في دائرة مغلقة كل ذاتها، معدنية، البداية هي النهاية والنهاية تتكرر في البداية وهكذا دواليك. (والتكرار جزء أساسي من تقنية بيكيت) لهذا يمكن القول إن أعماله تذكِّر ببعضها، لأنها تطلع من بعضها باعتبارها ذاكرة بعضها. ومن الصعب الكلام عن انفصال ما بينها عن نسيان كتاب المراحل يعمدون أحياناً إلى إلغاء الذاكرة إلى البدء من جديد. إلى لغة جديدة، وربما إلى رؤيا جديدة وإلى موقف جديد، لأنهم في سياق اكتشاف «ما لا ينتهي» في أسر «المطلق» بيكيت كأنه «اكتشف» كل شيء (في العدم طبعاً)، ومن يكتشف كل شيء في لحظة من لحظاته، يعني أنه وصل إلى سكون ما، إلى «موت» ما إلى آخر محطة من محطات القطار. وعندما نتكلم على ثلاثية ما أو رباعية ما

عند بيكيت نقع، من حيث ندري أو لا ندري، في تقسيم اعتسافي لمرحليات مفترضة أو مفروضة. وعندما نقول، ككثير من النقاد، إن مسرحية بيكيت هذه تكمل الأولى، أو تكمل الثالثة، نقع أيضاً في نوع من «الزمنية» التي كان يمجها بيكيت. فالإكمال يعني «تطوراً» ويعني زمنية في المعنى الروائي والمسرحي وبيكيت ليس «زمنياً»، إنه بالأحرى تزامني ومسرحياته كلها تقريباً مسرحيات تزامنية، لأنها تحفر لحظاتها في ذاتها، وفي شخصياتها، وفي حواراتها، وفي إيقاعاتها.

لأنه مسرح النهايات، وليس مسرح البدايات مسرح التساقط. وفي مسافة التساقط لا يعود ثمة قياس لتطور أو لتفكير، سوى تزامنية التساقط وكل شيء العالم، القامات، الأجساد، التواريخ، الذاكرة، إنها في لحظة سقوط تتزامن ونفسها تنتهي الورقة منذ انفصالها عن الشجرة، ولا تهم بعدها، مسافة تساقطها إلى الأرض. لأنها مسافة من العدم إلى العدم. وحركة الورقة في تساقطها، حركة أيضاً من العدم إلى العدم.

من هنا القول إن «نهاية اللعبة» تتقاطع كثيراً و«في انتظار جودو» التي تتقاطع بدورها و«الشريط الأخير»، و«آه من الأيام الجميلة... الخ» لكن يختلف الديكور، وتغيب تفاصيل، ويبقى الجوهر.

«في انتظار جودو» تلعب لعبة اللاشيء، والانتظار، والعزلة، والعدم في الهواء الطلق، بشخصيات وأدوات مستعارة «من السيرك» وفيها الدعاية التي تبدو أشرس تعبير عن مأساة الحياة، وشقاء الإنسان في وضعه الإنساني يتغير الديكور في «نهاية اللعبة» مهرجو الانتظار يصيرون مهرجين مخلوعين، مهرجي الموت، والانقراض، والعبث والعجز، مهرجين هرهرت ابتساماتهم وأضراسهم وشهيتهم ورغباتهم.

مهرجين طردوا من السيرك. وفي «نهاية اللعبة»، يتجسد التقاطع في الانتظار. هنا أي «انتظار جودو» مسافة لهذا الانتظار الذريعة، هي مسافة كلامية. هنا فقط، تلغى هذه المسافة. والشخصيات تنتقل من المسرحية الأولى إلى الثانية لكن من دون أمتعة ولا قبعات، ولا أحذية، ولا حبال، تترك حقائبها على العتبة وتدخل، فعلاقة السيد والمسود والمتجسدة في «في انتظار جودو» ببوزو ولاكي، تتكرر هنا مع هام وكلوف، وإن في مواصفات «أخرى» ونجد في هام كثيراً من «صفات» فلاديمير: القلق الذكاء التوقد. كما نجد في كلوف جوانب من لاكي: الطاعة، وإن تميزت بطبيعتها وسلوكها. ونجد كذلك تشابهاً بين مصير بوزو عندما يصير أعمى في الفصل الثاني ويقوده لاكي وهام القعيد الذي يحركه كلوف أي يصبح الاثنان في حاجة إلى «حركة» الآخر، إلى «عين» الآخر والعلاقة المسرحية التي كانت أساسية بين فلاديمير واستراجون أساسية كذلك بين هام وكلوف. هام يبدأ كلامه «جاء دوري في اللعب الآن إنه دوري»، وفي هذا مزج «اللعب» بالمأساوي الواقع باللاواقع، وكما تسمى في التقنية المسرحية «لعبة المسرح داخل المسرح».

لماذا ربما قد تكون شخصيات بيكيت شخصيات مسرحية تلعب، وهي تمزج اللعبة بالفاجعة، والصراع بين غرائزها ونوازعها من دون أن تتجنب، ضمن هذا اللعب نفسه، أن تمارس على بعضها أقسى أنواع السادية والعنف، ومن دون أن تنتقل في لحظة، من أقصى الحنان إلى أقصى القسوة، ومن التهريج المضخم، والتفصيلي والتوافة إلى التأمل في الكون وإلى إلقاء خطب بليغة، ومؤثرة كل هذا في لعبة أعظم ما فيها أنها لا تنسى أنها لعبة، وفي الوقت ذاته، تغرف الواقع من لعبة

الواقع، إلى واقع اللعبة، وبينهما يلمع الفاجع الكوني بكل يأسه وسخريته وشقائه: «على أن ألعب. وبما أن اللعب هكذا فلنلعب».

«نهاية اللعبة»

.. من فصل واحد، مكثف متوتر، مختزل، شخصياتها يحركها بيكيت بمهارة وقدرة ودقة، كما يحرك اللاعب الماهر حجارة الشطرنج يضبطها بلا استرسال، (كما نجد أحياناً في «في انتظار جودو»).

ولا كسور في الإيقاع أربع شخصيات «عائلية» الجدان (ناج ونيل) الابن (هام)، والابن، (أو الصديق، أو الحواري، أو الخادم). واصطلاحاً تمثل هذه الشخصيات الثلاثة أجيالاً، معطوبة، بالعاهات الجسدية وغير الجسدية. هام قعيد وضرير، ينزف، قابع في كرسيه المتحرك، يتحكم بالآخرين (إنه في وسط الغرفة) كلوف (الابن)، الوحيد القادر على الحركة (لكنه لا يستطيع الجلوس)، يدور حول هام ينفذ أوامره بتأفف ونفور، وهو، على أهبة دائمة للرحيل (لكنه لا يرحل كمعظم شخصيات بيكيت وتحديداً استراجون)، متشاغلاً بذهاب ومجيء بين كرسي هام المتحرك والمطبخ حيث «يتمتع» بمراقبة «النور الذي يذبل على جداره» في صندوقي قمامة، عجوزان كسيحان أيضاً (والدا هام) هذه الشخصيات «العائلية» كأنما تحركها قدرية أشبه بالقدرية الأوديبية، ولكن تختلط هنا، وإلى حد كبير الملامح والتقاسيم. هل هي لعبة سادية متبادلة؟ هل لعبة مازوشية محفرة؟ هل هي المسافة نحو الهاوية والانقراض؟ هل هو «ثأر» قدري؟ هل هو تماثل وشخصيات قدرية أخرى غيبية وغير غيبية؟

المكان مغلق نافذتان عاليتان لا يستطيع أن يتسلق إليهما، بالسلم سوى كلوف عين هام إلى الخارج «حيث الموت» والموت يفوح في المكان (وفي العالم أيضاً). هذه القدرية قد تتمثل بهذا المكان المغلق، مما قد يفرض تواجد هؤلاء الناس مع بعضهم والمكان المغلق، الذي لا يقطعه دوراناً سوى كلوف محرّم على الباقي لأنهم قعيدون. إذن فقدرية التساكن بامتياز، هذا المناخ الخانق العابق بالعبث وبالموتى، وأحياناً بالتذكارات والحنين «إلى الخارج» والهروب ليس «مسرحاً» لأي حدث فعلي. لأي تغير مكان واحد. شخصيات واحدة. ربما كلام واحد.

أي مكان متكرر. شخصيات متكررة. كلام متكرر في زمن ميت في الوقت الصفر. العقرب المتوقف على الصفر. الصفر الكوني. حيث تجمد الأشياء، والفصول، والأمطار، وحيث التكرار، تكرار في الصفر، في العدم. وإذا كان لم يحدث شيء في «في انتظار جودو» تكرار في فصلين، ففي «نهاية اللعبة» لم يحدث شيء إطلاقاً. بلا أحداث اللهم إلا إذا اعتبرنا «تحريك» هام في أرجاء الغرفة، وملامسة الجدران حدثاً، أو ما يرويه كلوف عن اكتشاف جرذ، حدثاً، أو موت نيل في صندوق القمامة حدثاً، لكن في مثل هذا المناخ الصفر، حتى الموت يكف عن أن يكون حدثاً لأنه في الواقع الفعل الحقيقي البارز، ولأنها في النهاية، وإن لم تكن مسرحية تحكي عن الموت، فإنها مسرحية تحكي الموت بألسنة ووجوه وأوضاع شخصياتها.

هـــام: المنزل كله يفوح برائحة الجثة

كلوف: كل العالم.

هـــام: (بغضب فليذهب العالم إلى الجحيم. الموت هو الحدث (اصطلاحاً) وهو اللا ـ حدث.

هـــام: ماذا يحدث ماذا يحدث؟

كلوف: شيء يتبع مجراه.

ولكن بما أن بيكيت كان يرعبه أن يكون كاتب «مواضيع» ومعالج «أفكار» عن الموت، فقد قتل (بلعبة المسرحة) الفكرة فكرة الموت في الحوار.

هـــام: ألسنا في صدد أن نعني شيئاً؟

كلوف: نعني؟ نحن نعني؟ (ضحكة قصيرة) هذه نكتة ظريفة.

لكن تجاوزاً هذا الهروب البيكيتي من الوقوع في التذهين، وفي المواضيع الكبرى أو الصغرى، يتقدم الحدث المتصل بالموت، عبر هذا التفسخ البطيء للكائنات، هذا التقهقر الكوني، في العجز، وفي العزلة، وفي الانغلاق، والتمزق، والشقاء، لا من مسعف، ولا من منجد، لا من هنا ولا من هناك.. قدرية مرعبة، تطول إلى الجسد وإلى الروح وإلى العلاقات، وإلى جوهر الأشياء، شعور عميق بالهزيمة إزاء هذه القدرية. الطاغية، السرية، العمياء، الطرشاء، البكماء، المعدنية، القاسية...

القدرية تحول ضحاياها إلى موتى تنفيهم. تمجهم تهلهلهم، تنصبهم على مرمى بطشها، القدرية تحول الناس إلى موتى، العلاقات القائمة بينهم، ولأنها محكومة بشروط مبرمة، هي علاقات موتى بموتى. ولكن ما يرعب أن يعي «الموتى» (بالقوة) هذه القدرية التاريخية والكونية والميتافيزيقية. منهم من يتمرد عليها ولكن إلى قدرية أخرى، ومنهم من ينساها، ويغرق في «الحياة» ومنهم من يستسلم ومنهم من

ينتحر، ومنهم من يتصل بعبثية وبأقنعة وبكلام. شخصيات «نهاية اللعبة» يواجهون قدريتهم بشروط الانمساخ في، والانغلاق، يواجهون العدمية التي هي زهرة القدرية السوداء، في «سجن»، في مواجهة يومية بينهم فكان القدرية هنا مضاعفة: (١) قدرية النسب. (٢) قدرية المكان. (٣) قدرية العجز. (٤) قدرية التفسخ. (٥) وقدرية الحاجة أيضاً إلى بعضهم. ولهذا فهي شخصيات صنعت منها القدرية المبرمة، كائنات متناقضة، تتأرجح بين الصفات والأمزجة «المتناكرة» بل كأنها شخصيات أقنعة، لتأدية هذه اللعبة الجهنمية...

هام والاسم يمكن أن يذكر هنا بـ«هاملت»، أو بـ«هام» (جامبون)، أو بـ«هوم» (الإنسان)، و«هوم» كذلك (بيت) ويمكن، من خلال هذه «الاجتهادات» الاسمية أن نقترب من تكاوينه «المتناقضة». فهو رغم عجزه الجسدي التام، يصر أن يكون في وسط الغرفة في وسط العالم. في المحور.

ومن هذا المحور الكوني يلعب لعبة الطاغية، هؤلاء يتحكم بالثلاثة الآخرين. يجد متعة في تعذيب الآخرين يفتح ناج فمه فيبادر إلى شتمه «يا نسل اللعنة» لأنه يذكر كثيراً ببوزو في الفصل الثاني من «في انتظار جودو». وعندما يخبره كلوف بأنه يرى شيئاً يسأله:

كلوف: (يقرب السلم من النافذة يتسلقه يصوب المنظار صمت). ايه! ايبه!.

هـــام: ماذا ترى؟ ورقة؟ زهرة بندو (يتثاءب) حبة؟

كلوف: ملتفتاً سأطلب لك بندورة... إنه شخص ما... شخص ما..

هـــام: آه! حسناً. . . اذهب وأبده! (كلوف ينزل عن السلم) شخص ما. . (منتفضاً) قم بواجبك (كلوف إلى الباب بسرعة) كلا لا داعي لذلك؟ (كلوف يتوقف) ايه مسافة؟

كلوف: (يعود إلى السلم يتسلقه يصوب المنظار) أربع وسبعون متراً. .

هـــام: مقترباً مبتعداً؟

كلوف: (لا يزال ينظر) جامد.

هـــام: الجنس؟

كلوف: أية أهمية؟. .

هذه السادية البارزة عند هام (الجامبون) هذا الجبروت جبروت الطاغية والسلطة والتعذيب، صورة أخرى، أو الصورة الأخرى، الضعيف، الذي يحتاج إلى الآخرين، فوالداه اللذان وضعهما في صندوقي قمامة، ويأمر كلوف بإطباق الغطاء عليهما، ويعد والده ناج بحلوى ولا يفي بوعده، وينهرهما عندما يستسلمان للتذكر والحنين يبدو أنه لا يستغني عنهما، ويبقى «الابن» الذي يحتاج إليهما. يحتاج إلى صوت والده ليطمئنه: ينادي مرتين: أبي! أبي! ويريد أن يتأكد من أنه سمعه. كأنه وهو الجلاد يتماهى بصورة المسيح على الصليب وهو ينادي «أبت! أبت لماذا تركتني؟». وتبدو هذه الحاجة وهذا الضعف، أقوى مع كلوف. فهو متخوف دائماً من أن يتركه.

هـــام: لماذا تبقى معي؟

كلوف: لماذا تُبقيني؟

هـــام: ليس من رجل آخر.

كلوف: ليس من مكان آخر.

هـــام: مع ذلك تتركني.

كلوف: أحاول

هـــام: أنت لا تحبني

كلوف: كلا!

هـــام: فيما مضى كنت تحبني.

كلوف: فيما مضى.

هـــام: آلمتك كثيراً أليس كذلك؟

كلوف: ليس هذا المهم.

هـــام: ألم أعذبك كثيراً؟

كلوف: نعم.

هـــام: آه! مع ذلك أعتذر.. أقول أعتذر

كلوف: أنا سامع. ألم تنزف اليوم؟

هـــام: أقل من البارحة. ألم يحن وقت المسكن؟

كلوف: كلا!

وإزاء هذا الضعف الإنساني (أو الحاجة) إزاء والده وإزاء كلوف يتهيأ هام في ضعف «وجدوى»، يتجسد في هذه التساؤلات والتأملات الرثائية:

هام (على وضعه) حسن! (كلوف يخرج، صمت). عليَّ أن ألعب.

(يخرج منديله، يفرده، يمسك به بطرف يده، ناشراً إياه) الأشياء تتقدم (صمت) نبكي، نبكي، للاشيء، كي لا نضحك، وشيئاً فشيئاً... حزن حقيقي، يجتاحك (يطوي منديله يعيده إلى جيبه، يرفع قليلاً رأسه) كل هؤلاء كان في إمكاني أن أساعدهم! (صمت) أنقذهم (صمت) أنقذهم! (صمت) كانوا يخرجون من كل الأمكنة (صمت بضعف) لكن فكر، فكر، أنت على الأرض ولا علاج لذلك.

كأن هام صدى لـ«هام» (الجامبون) بما في ذلك من انحطاطية، وصدى لهاملت بما في ذلك من تأملية (أو «لير»، في لحظات يأسه)، أو هوم (الإنسان) في تعميم مأساته، أو الطفل، أو بالأحرى الرجل الذي إزاء لحظاته البائسة، الأخيرة، من العجز، والهرم والعاهة، يستبقى من ملامح الطفولة. إنه الطفل الكبير.

أما كلوف، فيبدو أكثر تشاؤمية من هام، وأقل تذكراً، وارتباطاً بالماضي، وبأشياء الغرفة كأنه أحياناً لا يحب أن يمارس مهنة «الخادم» وكأنه أحياناً «عين» هام وكذلك «عقله» الصافي، الواقعي. إنه أكثر الشخصيات هدوءاً والتصاقاً بشروط «القدرية»، حتى كأنما انتفى الصراع الذي يطلع أحياناً من كلام هام، أو الحنين الذي يبديه كل من ناج ونيل بل كأنه أكثر الشخصيات عدمية بمعنى التحرر من كل الأحمال «الإنسانية» كالماضي، والتذكارات.. والعواطف.. وإذا «المنبه»، «الموقوت»، وفي الوقت ذاته «الغائب» الذي يدور والقلق الذي ينتقل بين النافذتين ليطل على العالم الخارجي ويشهد على «أفول العالم» فهو كذلك الشاهد، والرائي، والذي «يحلم» كهام، في الخروج، لكنه يتردد حتى آخر المسرحية وهو في الوقت ذاته «الشفوق (إذا صحت العبارة)،

والمازوشي الذي لا يحسم خروجه، والسادي الذي لا يتورع عن مقارعة هام رغم خضوعه له، ولا يتورع عن ضربه بالكلب الدمية، ولا يتورع عن تكثيف جو التيئيس، وأحياناً اللامبالاة، ولا أعرف لماذا يذكرني، وإلى حد، بشخصية «الغريب» عند كامو، في علاقته بجدَّيه (نيل وناج). علاقة تتسم باللامبالاة، وربما بالآلية. إلى جانب هذه الملامح، نجد صورة أخرى له أو جوانب أخرى، (تماماً كما هي الحال مع هام)؛ فهو المحدث، والمحاور، (وهنا نتذكر دور استراجون بالنسبة إلى فلاديمير) وهو الذي يرتبط بعلاقة ما، هي شفقة أو حنان، سيان:

كلوف (إلى هام) لا أستطيع أن أنهضك وأن أنيمك كل خمس دقائق. لدي مشاغل أنهضتك منذ قليل.

ولعله يعرف ويدرك أنه (أي كلوف) صنيعة هام (سواء كان ابنه أو خادمه أو صديقه).

كما أن ماكمان صنيعة مالون، وإلى حد استراجون صنيعة فلاديمير..

وربما هذا الوعي (إلى عوامل أخرى) وراء تردده في ترك هام أو بالأحرى عدم قدرته على ذلك.

يقابل هذا الثنائي هام ـ كلوف، الثنائي نيل ـ ناج. والدا هام، وجدّا (؟) كلوف. وهما شخصيتان، أقل تشاؤمية من هام ومن كلوف. تعيشان في القذارة أيامهما الأخيرة وتتذكران قصة حبهما وحكايات تضحك. أو بالأحرى حكاية يرددها ناج وهي قصة الخياط وزبونه.

الشخصيات

- نــــاج
- نيـــل
- كلوف
- هـــام

المسرحية

المسرح عارٍ.

الضوء رمادي.

إلى اليمين وإلى اليسار، في أقصى المسرح، وعلى ارتفاع. نافذتان صغيرتان، ستائرهما مسدلة.

إلى اليمين من مقدمة المسرح باب. إلى جواره لوحة معلقة ووجهها للحائط.

إلى اليسار من مقدمة المسرح، صندوقا قمامة متقابلان، مغطيان بملاءة قديمة.

في الوسط، هام في كرسي (فوتيل) بعجلات، مغطى بملاءة قديمة.

كلوف، جامداً قرب الفوتيل، يحدق به. سحنته تميل إلى الاحمرار.

يتوجه كلوف ويقف تحت النافذة إلى اليسار. مشيته متصلبة ومترنحة معاً. يحدق في النافذة إلى اليسار، رأسه مرفوع، يحدق في النافذة إلى اليمين. يتوجه ويقف تحت النافذة إلى اليسار، ورأسه مرفوعة. يدير رأسه ويحدق في النافذة إلى اليسار. يخرج، لا يلبث أن يعود من توّه حاملاً سلّماً صغيراً، يضعه تحت النافذة إلى اليسار،

يتسلقه، يفتح الستائر. ينزل، يخطو ست خطوات في اتجاه النافذة إلى اليمين، يعود، يأخذ السلّم ويضعه تحت النافذة إلى اليمين، يتسلّقه، يحدق عبر النافذة. ضحكة مولية، ينزل، يخطو خطوة واحدة نحو النافذة إلى اليمين، يعود ويأخذ السلم، ويضعه تحت النافذة إلى اليمين، يتسلقه، يحدق عبر النافذة. ضحكة مولية. ينزل، فإلى صندوقي القمامة، فيعود ويأخذ السلّم، فيأخذه، يغيّر رأيه، يتركه، فإلى صندوقي القمامة، ينزع الملاءة التي تغطيهما، يطويها بعناية ويضعها على ذراعه. يرفع غطاء أحد الصندوقين، ينحني وينظر داخل صندوق القمامة. ضحكة مولية. يغلق الغطاء.

يفعل نفس الشيء مع الصندوق الآخر، يتوجه نحو هام، يرفع الملاءة التي تغطيه، يطويها بعناية ويضعها على ذراعه. هام الذي يبدو غافياً، يرتدي مبذل نوم، يعتمر قلنسوة من اللبد، على وجهه منديل مبقّع بالدم، صفارة معلقة بعنقه، غطاء على ركبتيه، جورب سميك في قدميه. كلوف يحدق به. ضحكة مولية. يتوجه نحو الباب، يتوقف، يستدير، يتأمل المسرح، يستدير نحو الصالة.

كلوف: (نظرة ثابتة، صوت دون نغمة) ـ انتهت، لقد انتهت، ربما على وشك النهاية. (صمت). الحبوب تنضاف إلى الحبوب، حبة حبة. وذات يوم، فجأة تصبح كومة، كومة صغيرة، الكومة المستحيلة. (صمت) لا لا يمكن أن يكون العقاب أشدّ. (صمت) سأذهب الآن إلى مطبخي، ثلاثة أمتار في ثلاثة أمتار في ثلاثة أمتار، أنتظر أن يناديني بصفارته.

(صمت) أبعاد جيدة، سأتكىء على المائدة وأنظر إلى الحائط وأنتظر من يناديني بصفارته.

ويبقى لحظة جامداً. ثم يخرج. يعود من توه، يأخذ السلّم، يحمله ويخرج. لحظة. هام يتحرك. يتثاءب تحت المنديل. يزيح المنديل عن وجهه. سحنته تميل إلى الاحمرار. نظارتان سوداوان.

هـــام: الآن... (تثاؤب) دوري. (صمت) في اللعب. (يمسك بالمنديل المفرد أمامه) ضمادة بالية!

(ينزع نظارتيه، يمسح عينيه، وجهه، يمسح النظارتين ويعيدهما، يطوي المنديل بعناية ويضعه برفق في جيب مبذله العلوي. يتنحنح، يضم أطراف أصابعه إلى بعضها). أيمكن أن ـ (تثاؤب) يكون بؤس أعظم... أعظم من بؤسي؟ بلا شك. سابقاً. أما الآن؟ (صمت) أبي؟ (صمت) أمي؟ (صمت) كلا.. بي؟ (صمت) أوه أتمنى أن يتعذبوا قدر ما يمكن أن تحتمل من عذاب مخلوقات مثلهم. لكن ترى يعني ذلك أن عذاباتنا تتساوى؟ بلا شك.

(صمت) كلا، كل شيء مط (يتثاءب) لق، (باعتزاز) كلما عظم الإنسان ازداد امتلاء. (صمت. متجهّماً) وازداد خواء. (يشمشم) كلوف!

(صمت) لا، أنا وحدي. (صمت) أية أحلام ـ وبصيغة الجمع! هذه الغابات! (صمت) كفى آن لها أن تنتهي حتى في المأوى. (صمت) مع هذا أتردد، أتردد في...

أن. . . أنتهي. نعم، هذا بالتحديد، آن لها أن تنتهي ومع هذا لا أزال أتردد في ـ (يتثاءب) ـ في أن أنتهي. (يتثاءب). آه! بماذا أتمسك، من الأفضل لي أن آوي إلى النوم. (ينادي بالصفارة. يدخل كلوف مباشرة. يتوقف قرب كرسي الفوتيل).

أنت تسمم الهواء! (صمت)، هيئني، أريد أن آوي إلى الفراش.

كلوف: أنهضتك للتو.

هام: وإن يكن؟

كلوف: لا أستطيع إنهاضك وتنويمك كل خمس دقائق، فلدي مشاغلي.

(صمت)

هام: ألم ترَ أبداً عينيّ؟

كلوف: كلا.

هام: ألم يدفعك فضولك، أثناء نومي، إلى رفع نظارتي والنظر في عيني؟

كلوف: وأرفع جفونك؟ (صمت) لا.

هام: سأريك إياهما ذات يوم. (صمت) يبدو أنهما بيضاوان تماماً. (صمت) كم الساعة؟

كلوف: إيّاها كالعادة.

هام: هل نظرت؟

كلوف: نعم.

هـــام: وماذا وجدت؟

كلوف: صفراً.

هـــام: يمكن أن تمطر.

كلوف: لن تمطر.

(صمت)

هـــام: ما عدا ذلك، أحوالك على ما يرام؟

كلوف: لا أشكو.

هـــام: تشعر بأنك في حالك الطبيعية!

كلوف: (متذمراً) قلت لك إني لا أشكو.

هـــام: أنا أشعر بأني مضحك قليلاً. (صمت) يا كلوف.

كلوف: نعم!

هـــام: أوَليس لديك ما يكفي؟

كلوف: بالطبع! (صمت) لديَّ ماذا؟

هـــام: من هـ.... هذا... الشيء.

كلوف: أكيد وباستمرار. (صمت) وأنت لا؟

هـــام: (متجهّماً) إذن فلا داعي ليتغير شيء.

كلوف: يمكن أن ينتهي. (صمت). كل حياتنا الأسئلة إياها، الأجوبة إياها.

هـــام: هيئني. (كلوف لا يتحرك). اذهب وأحضر الملاءة.

(كلوف لا يتحرك) كلوف.

كلوف: نعم.

هـــام: لن أعطيك بعد الآن طعاماً.

كلوف: فنموت إذن.

هـــام: سأعطيك ما يكفي فقط كي أمنعك من الموت. ستبقى دائماً جائعاً.

كلوف: إذن لن نموت، (صمت) سأذهب لإحضار الملاءة.

(يتوجه نحو الباب).

هـــام: لا داعي لذلك. (كلوف يتوقف) سأعطيك قطعة بسكوت يومياً. (صمت) قطعة ونصف القطعة. (صمت) لماذا تبقى معي؟

كلوف: لماذا تنظر إليَّ؟

هـــام: ليس هناك شخص آخر.

كلوف: ليس هناك مكان آخر.

(صمت).

هـــام: مع هذا ستتركني.

كلوف: أحاول.

هـــام: أنت لا تحبني.

كلوف: لا!

هـــام: أحببتني فيما مضى.

كلوف: فيما مضى؟

هـــام: أذقتك الأمرَّين. (صمت) أليس كذلك؟

كلوف: ليس هذا.

هـــام: ألم أذقك الأمرَّين؟

كلوف: بالتأكيد.

هـــام: (مرتاحاً) ـ آه! أخفتني (صمت ـ ببرود). عفواً.

(صمت. بصوت أعلى) قلت عفواً.

كلوف: أسمعك. (صمت) هل نزفت؟

هـــام: أقلّ. (صمت) ألم يحنْ وقت المسكّن؟

كلوف: كلا!

(صمت)

هـــام: كيف حال عينيك؟

كلوف: سيئة.

هـــام: كيف حال رجليك؟

كلوف: سيئة.

هـــام: لكن يمكنك أن تتحرك.

كلوف: نعم.

هـــام: (بعنف) إذن تحرك! (كلوف يتوجه نحو الجدار في الأقصى، يستند بجبهته وبيديه) أين أنت؟

كلوف: هنا.

هـــام: عُدا (كلوف يعود إلى مكانه قرب الفوتيل) أين أنت؟

كلوف: هنا.

هـــام: لماذا لا تقتلني؟

كلوف: لا أعرف رقم مفتاح الخزانة؟

(صمت)

هـــام: أحضر لي دراجتي.

كلوف: لم يعد من دراجات.

هـــام: ماذا فعلت بدراجتك؟

كلوف: لم يكن عندي أبداً دراجة.

هـــام: أمر لا يطاق!

كلوف: عندما كانت لا تزال هناك دراجات كنت أبكي كي أحصل على واحدة. ركعت أما رِجلَيك. لكنك لم تأبه. الآن لم يعد من دراجات.

هـــام: وجولاتك إذن؟ عندما تذهب لتزور فقرائي. دائماً مشياً؟

كلوف: أحياناً على الحصان. (غطاء أحد صندوقي القمامة يرتفع ويدا ناج تبرزان معلقتين بالحافة. ثم يظهر الرأس معتمراً قلنسوة نوم. سحنة تميل إلى البياض. ناج يتثاءب، ثم يصغي). اتركك، عندي شغل.

هـــام: في مطبخك؟

كلوف: نعم.

هـــام: خارج هذا المكان، الموت. (صمت) طيب، اذهب.

(كلوف يخرج. صمت). الأمور على ما يرام.

نـــاج: عصيدتي!

هـــام: أيها الأب الملعون!

نـــاج: عصيدتي!

هـــام: آه لـم يعـد مـن شيـوخ! الأكـل، الأكـل، لا يـهـجـسـون إلا بذلك! (يصفر. يدخل كلوف. يتوقف قرب الفوتيل) جيد! خلت أنك ستتركني.

كلوف: لم يئن الأوان بعد، لم يئن الأوان بعد.

نـــاج: عصيدتي!

هـــام: أعطِه عصيدته.

كلوف: لم يتبقَّ عصيدة.

هـــام: (إلى ناج) لـم يتبقَّ عـصيدة. لـن تـحـصـل بـعـد الآن عـلى عصيدة.

نـــاج: أريد عصيدتي!

هـــام: أعطه قطعة بسكوت. (كلوف يخرج).

أيها النسل الملعون! كيف حال ساقيك المبتورتين؟

نـــاج: دع ساقيّ المبتورتين وشأنهما.

(يدخل كلوف، في يده قطعة بسكوت).

كلوف: عدت، بقطعة البسكوت.

(يـعـطـي قـطـعـة الـبـسـكـوت إلـى نـاج، الـذي يـأخـذهـا. يتفحصها، ويشمها).

نـــاج: (متشكياً) ما هذه؟

كلوف: قطعة بسكوت عادية.

نـــاج: قاسية! لا أستطيع؟

هـــام: اسجنه!

(كلوف يُدخل ناج إلى صندوق القمامة، يغلق الغطاء).

كلوف: (عائداً إلى مكانه قرب الفوتيل) لو عرفت الشيخوخة!

هـــام: اجلس عليه.

كلوف: لا أستطيع الجلوس.

هـــام: صحيح! وأنا لا أستطيع الوقوف.

كلوف: هذه هي الحال.

هـــام: لكل اختصاصه. (صمت). ألم يتصل أحد بالهاتف؟ (صمت) ماذا لو نضحك؟

كلوف: (بعد تفكير) لستُ في هذا الوارد.

هـــام: (بعد تفكير) ولا أنا! (صمت) كلوف.

كلوف: نعم.

هـــام: الطبيعة نسيتنا.

كلوف: لم يعد هناك طبيعة.

هـــام: لم يعد هناك طبيعة! تبالغ.

كلوف: أعني الجوار.

هـــام: لكننا نتنفس، نتغير! نفقد شعور رؤوسنا! أسناننا! نضارتنا! مُثُلَنا!

كلوف: إذن، فهي لم تنسنا.

هـــام: لكنك قلت لم تعد هناك طبيعة.

كلوف: (بحزن) ما من أحد قط في هذا العالـم على مثل تفكيرنا الملتوي.

هـــام: نفعل ما في وسعنا.

كلوف: نحن على خطأ.

(صمت).

هـــام: أتظن لا تزال فيك قطعة صالحة؟

كلوف: ألف.

صمت

هـــام: الأمور بطيئة (صمت) ألم يحن وقت حبة المسكّن؟

كلوف: كلا. (صمت) سأتركك. لدي مشاغلي.

هـــام: في مطبخك؟

كلوف: نعم.

هـــام: أتساءل، ماذا عساك تفعل؟

كلوف: أحدق في الحائط.

هـــام: الحائط! وماذا يمكن أن ترى، على حائطك؟ أجساداً عارية! أجساداً عارية!

كلوف: أرى نوري يخبو.

هـــام: نورك يخبو! اسمعوا اسمعوا! ونورك هذا يمكن أن يخبو

هنا أيضاً. حدق فيّ قليلاً ثم عد وحدثني عن نورك.

صمت

كلوف: لا تخاطبني بهذه الطريقة.

صمت

هـــام: (ببرود) عفواً. (صمت. بصوت أعلى) قلت عفواً.

كلوف: سمعتك.

صمت. غطاء صندوق القمامة يرتفع. تظهر يدا ناج قابضتين على حافة الغطاء. ثم يبرز رأسه. في إحدى اليدين قطعة البسكوت. ناج يصغي.

هـــام: هل نبتت البذور التي زرعتها؟

كلوف: كلا.

هـــام: هل نبشت قليلاً لترى إذا كانت أنبتت؟

كلوف: لم تنبت.

هـــام: ربما لم يحن الوقت لذلك بعد.

كلوف: لو كانت ستنبت لأنبتت. لن تنبت أبداً.

صمت

هـــام: ليس في ذلك ما يُفرح. (صمت) لكن الأمور تجري هكذا دائماً في نهاية النهار، أليس كذلك يا كلوف؟

كلوف: دائماً.

هـــام: إنها نهاية نهار كسواه، أليس كذلك؛ كلوف؟

كلوف: يبدو هذا.

(صمت)

هـــام: (بقلق) لكن ماذا يجري، ماذا يجري؟

كلوف: شيء يتبع مجراه.

(صمت)

هـــام: طيب، انصرف. (يتكىء برأسه على مسند الفوتيل، يبقى جامداً. كلوف لا يتحرك، يتنهد عميقاً. هام يستوي في الكرسي). أظن أني طلبت منك الانصراف.

كلوف: أحاول. (يتوجه نحو الباب، يتوقف). منذ أبصرت النور.

(يخرج)

هـــام: الأمور تجري على ما يرام.

(يتكىء برأسه على مسند الفوتيل، يبقى جامداً. ناج يطرق غطاء صندوق القمامة الآخر. لحظة. يطرق طرقاً أقوى. الغطاء يرتفع، يدا نيل تظهران، قابضتين على حافة الغطاء، ثم يبرز الرأس معتمراً قلنسوة دانتيل. سحنة تميل إلى البياض).

نيـــل: ماذا هناك يا حبيبي؟ (صمت) أمن أجل ممارسة الحب؟

نـــاج: كنت نائمة؟

نيـــل: أوه! أبداً.

نـــاج: قبّليني.

نيـــل: لا نستطيع.

نــــاج: لنحاولْ!

الرأسان يقتربان من بعضهما بصعوبة، ويعجزان في الوصول، يبتعدان.

نيــــل: لم هذه المهزلة، كل يوم؟

لحظة

نــــاج: فقدت ضرسي.

نيــــل: متى؟

نــــاج: كانت موجودة البارحة.

نيــــل: (راثياً) آه! البارحة.

يستديران بصعوبة، الواحد نحو الآخر.

نــــاج: هل يمكنك رؤيتي؟

نيــــل: بصعوبة. وأنت؟

نــــاج: ماذا؟

نيــــل: هل يمكنك رؤيتي؟

نــــاج: بصعوبة.

نيــــل: أفضل، أفضل.

نــــاج: لا تقل هذا. (لحظة). بصرنا ضعف.

نيــــل: نعم.

لحظة. يستديران نحو بعضهما.

نــــاج: هل يمكنك سماعي؟

نيــــل: نعم. وأنت؟

نـــاج: نعم (صمت) سمعنا لم يضعف.

نيــــل: ما الذي لم يضعف؟

نـــاج: سمعنا.

نيــــل: كلا. (صمت). هل لديك شيء آخر تقوله؟

نـــاج: تذكرين...

نيــــل: كلا.

نـــاج: حادث اصطدام الدراجة ذات المقعدين حيث فقدنا أرجلنا.

يضحكان.

نيــــل: كان ذلك في منطقة الأردين.

يضحكان بقوة أقل.

نـــاج: لدى الخروج من سبيدان. (يضحكان أكثر فأكثر بقوة أقل). بردانة؟

نيــــل: نعم، بردانة كثيراً. وأنت؟

نـــاج: أتجمد. (صمت) تريدين أن تدخلي؟

نيــــل: نعم.

نـــاج: إذن ادخلي. (نيل لا تتحرك) لماذا لا تدخلين؟

نيــــل: لا أعرف.

(صمت)

نـــاج: هل غيرتَ النشارة الموضوعة تحتك؟

نيـــل: ليست نشارة (صمت. بتعب) ألا يمكن أن تكون أدق يا ناج؟

نـــاج: الرمل إذن. وما أهمية ذلك؟

نيــل: هذا مهم.

(صمت)

نـــاج: فيما مضى كانت نشارة.

نيـــل: اي نعم.

نـــاج: والآن رمل. (صمت) والآن رمل من الشاطىء.

نيـــل: اي نعم!

نـــاج: هل غيّره لك؟

نيـــل: كلا.

نـــاج: ولا لي أنا أيضاً. (صمت) يجب أن نحتج. (صمت. رافعاً قطعة البسكوت) تريدين قطعة؟

نيـــل: لا. (صمت) قطعة ماذا؟

نـــاج: من البسكوت. تركت لك نصفها. (ينظر إلى قطعة البسكوت باعتزاز) ثلاثة أرباعها. لك. خذي. (يمد إليها القطعة) لا؟ (صمت) ألست على ما يرام؟

هـــام: (بتعب) اسكتا، اسكتا، تمنعانني من النوم. (صمت) تكلما بصوت منخفض. (صمت) لو تمكنت من النوم لربما مارست الحب. لذهبت إلى الغابات. لرأيت السماء، الأرض. لجريت. لتبعونني وما أمسكوا بي. (صمت)

الطبيعة! (صمت) قطرة ماء في رأسي. (صمت) قلب، قلب في رأسي.
(صمت)

ناج: (بصوت خفيض) هل سمعت؟ قلب في رأسه!
(يقهقه بحذر)

نيل: يجب ألا يسخر الإنسان من هذه الأمور. لماذا تسخر منها باستمرار؟

ناج: اخفضي صوتَك.

نيل: (من دون أن تخفض صوتها). لا شيء أكثر إثارة للضحك من التعاسة، أوافقك. لكن ـ

ناج: (مصدوماً) أوه!

نيل: بلى، بلى، التعاسة هي أكثر ما يضحك في هذا العالم. نضحك منها، نضحك منها، بملء قلوبنا، في البداية. لكنها تبقى دائماً كما هي. نعم، تشبه الحكاية الجميلة التي نسمعها باستمرار، نجدها باستمرار جيدة، ولكن من دون أن تضحكنا. (صمت) هل لديك شيء آخر تقوله لي؟

ناج: كلا.

نيل: فكر جيداً. (صمت) إذن عليَّ أن أتركك.

ناج: ألا تريدين حصتَك من البسكوت؟
(صمت) أحتفظ بها لك. (صمت) ظننت أنك ستتركينني.

نيل: سأتركك.

ناج: هل يمكنك أن تهرشيني لي قبل ذلك؟

نيل: كلا! (صمت) أين؟

ناج: في ظهري.

نيل: كلا. (صمت) حك نفسك بطرف غطاء الصندوق.

ناج: إنه في الأسفل. في التجويف.

نبل: أي تجويف؟

ناج: التجويف. (صمت) ألا تستطيعين؟ (صمت) أمس حككت لي هناك.

نيل: (بنبرة ثابتة) آه! أمس!

ناج: ألا تستطيعين؟ (صمت) ألا أتريدين أن أحكّ لك؟ (صمت) تعاودين البكاء؟

نيل: كنت أحاول.

صمت

هام: (بصوت خفيض) ربما كان مجرد عرق صغير.

صمت

ناج: ماذا قال؟

نيل: ربما كان مجرد عرق صغير.

ناج: ماذا يعني ذلك؟ (صمت) أريد أن أقص عليك حكاية الخياط.

نيل: لماذا؟

ناج: كي أضحكك.

نيـــل: ليست مضحكة.

نـــاج: لطالما أضحكتك. (صمت) خلتك في المرة الأولى ستموتين من الضحك.

نيـــل: كان ذلك في بحيرة كوم. (صمت) عصر يوم من أيام نيسان (أبريل). (صمت) هل يمكن أن تصدق؟

نـــاج: ماذا؟

نيـــل: أننا قمنا بنزهة على بحيرة كوم. (صمت) هو يوم من أيام نيسان (أبريل).

نـــاج: كنا عقدنا خطوبتنا في اليوم السابق.

نيـــل: عقدنا خطوبتنا!

نـــاج: ضحكت إلى درجة كدت تقلبين بنا القارب. كدنا نغرق.

نيـــل: هذا لأنني كنت أشعر بالسعادة.

نـــاج: لا، لا، لم يكن هذا، كانت حكايتي. والدليل، أنك ما زلت تضحكين لها حتى الآن. وفي كل مرة أحكيها.

نيـــل: كانت عميقة، عميقة. وكان في الإمكان رؤية القاع. شديد البياض. شديد الوضوح.

نـــاج: دعيني أحكيها لك. (بصوت راوٍ) رجل إنكليزي (يتخذ سحنة رجل إنكليزي، ثم يعود إلى وضعه الطبيعي) احتاج في سرعة إلى بنطلون مقلّم لاحتفالات عيد رأس السنة. فقصد خيّاطه الذي أخذ مقاسه. (متمثلاً صوت الخياط) «هذا كل شيء، عد بعد أربعة أيام وسيكون جاهزاً».

حسناً. وبعد أربعة أيام (متمثلاً صوت الخياط) «آسف عد بعد ثمانية أيام. لم تنجح قعدة البنطلون». حسناً. لا بأس. فالقعدة الضيقة مثيرة جداً. بعد ثمانية أيام (بصوت الخياط) «آسف، عد بعد عشرة أيام لقد رقعت فتحة البنطلون» حسناً ففتحة البنطلون شيء حساس. بعد عشرة أيام.. (بصوت الخياط) «آسف، عد بعد خمسة عشر يوماً. لم أسوّ جيداً العروة». حسناً العروة الجيدة عمل معقد. (صمت. صوته الطبيعي) لم أروِها أسوأ من هذه المرة إطلاقاً. كلّما رويتها ازدادت سوءاً.

(صمت. بصوت الراوية) باختصار، أزف في النهاية الفصح ولا يزال الخياط يصلح العروة. (يتمثل صوت الزبون) لعنه الله عليك. هذه قلة أدب. في ستة أيام، هل تسمعني، في ستة أيام صنع الله العالم. نعم يا سيدي العالم كله. وأنت لم تستطع أن تصنع لي بنطلوناً في ثلاثة أشهر.. (متمثلاً صوت الخياط) لكن يا سيدي العزيز، انظر، انظر، (يشير باحتقار واشمئزاز) انظر إلى العالم (صمت) وانظر (يشير باعتزاز وحب) إلى البنطلون الذي صنعته.

(صمت. يحدق في نيل التي تبدو غير متأثرة، وعيناها زائغتان، ينفجر في ضحكة مفتعلة وحادة، يقطع الضحكة، يقرب رأسه من نيل، وينفجر من جديد بضحكته)

هـــام: كفى!

ناج ينتفض، يقطع ضحكته.

نيـــل: كنا نرى القاع.

هـــام: (عيل صبره) ألم تنتهيا؟ ألن تنتهيا أبداً؟ (على غضب مفاجىء) ألن ينتهي هذا أبداً!

(ناج يغوص في صندوق القمامة، يغلق الصندوق. نيل لا تتحرك). لكن عماذا يمكن أن يتكلما، بل ماذا تبقى للكلام؟ (بحدة) أهب ملكي كله مقابل حارس ليلي.

(يصفر. يدخل كلوف) أزح هذه الأوساخ؟ ارمها في البحر!

كلوف يتوجه إلى صندوقي القمامة، يتوقف.

نيـــل: شديد البياض.

هـــام: ماذا؟ بماذا تخرف!

(كلوف ينحني على نيل، يجسّ نبضها)

نيـــل: فرّ.

(كلوف يترك يدها، يُدخلها إلى الصندوق، يغلقه، يستوي).

كلوف: (عائداً إلى مكانه قرب الفوتيل) توقف نبضها.

هـــام: بهذا هي رائعة. بماذا خرفت؟

كلوف: قالت لي أن أذهب إلى الصحراء.

هـــام: بماذا أتدخل؟ أهذا كل ما قالته؟

كلوف: كلا!

هـــام: وماذا أيضاً؟

كلوف: لم أفهم.

هـــام: هل حبستها؟

كلوف: نعم.

هـــام: كلاهما محبوس؟

كلوف: نعم.

هـــام: أحكم الغطاء عليهما. (كلوف يتوجه نحو الباب) لسنا مستعجلين. (كلوف يتوقف) غضبي يهدأ، أرغب في أن أبول.

كلوف: سأحضر المبولة.

يتوجّه نحو الباب.

هـــام: لسنا مستعجلين. (كلوف يتوقف) أعطِني حبة المسكّن.

كلوف: لا يزال الوقت مبكراً (صمت).

لا يزال مبكراً بعد المنشط الذي أخذته، ولن تؤثر الحبة إذا أخذتها الآن.

هـــام: ينبهونك في الصباح، ويخدرونك في المساء. أو ربما العكس. (صمت) هل مات ميتة طبيعية، ذلك الطبيب العجوز؟

كلوف: لم يكن عجوزاً.

هـــام: لكن هل مات؟

كلوف: بالطبع. (صمت) أتسألني أنت عن هذا؟
(صمت)

هـــام: خذني بجولة صغيرة. (كلوف من خلف الكرسي يدفعه إلى الأمام). ليس بهذه السرعة. (كلوف يدفع الفوتيل) خذني بجولة حول العالم.

(كلوف يدفع الفوتيل) بمحاذاة الجدران. ثم أعدني إلى الوسط. (كلوف يدفع الفوتيل) كنت تحديداً في الوسط، أليس كذلك؟

كلوف: نعم.

هـــام: تلزمنا فوتيل متحركة جيدة. بعجلات كبيرة. بعجلات دراجة. (صمت) هل تحاذي الجدار؟

كلوف: نعم.

هـــام: (متلمساً الحائط بيده) ليس صحيحاً. لماذا تكذب عليّ؟

كلوف: (يقرب أكثر من الجدار). هيه! هيه!

هـــام: توقف! (كلوف يوقف الفوتيل قرب الجدار في أقصى المسرح. هام يضع يده على الجدار. صمت) الجدار العتيق! (صمت) خارجه... الجحيم الآخر. (صمت. بعنف) أقرب! أقرب! التصق بالجدار!

كلوف: ارفع يدك. (هام يسحب يده. كلوف يلصق الفوتيل بالجدار). هيه!

(هام ينحني على الجدار، يلصق به أذنه).

هـــام: هل تسمع؟ (يطرق الجدار بإصبعه المثنية). هل تسمع؟ آجر أجوف. (يعاود الطرق) كل هذا أجوف!

(صمت. يستوي. بعنف) كفى! لنعد.

كلوف: لم نكمل الجولة.

هـــام: أعدني إلى مكاني. (كلوف يعيد الفوتيل إلى حيث كانت، يوقفها) أهنا مكاني؟

كلوف: نعم، هنا مكانك.

هـــام: أنا في الوسط تماماً؟

كلوف: سأقيس.

هـــام: تقريباً! تقريباً!

كلوف: هيه!

هـــام: أنا تقريباً في الوسط؟

كلوف: أظن ذلك.

هـــام: تظن ذلك. ضعني في الوسط تماماً.

كلوف: سأحضر الشريط.

هـــام: تقريباً! تقريباً!

(كلوف يحرك الفوتيل تحريكاً خفيفاً) تماماً في الوسط.

كلوف: هيه.

صمت.

هـــام: أحس بأني إلى اليسار قليلاً.

(كلوف يحرك الفوتيل تحريكاً خفيفاً. صمت). الآن أحس بأني إلى اليمين قليلاً (اللعبة ذاتها). أحس بأني إلى الأمام قليلاً. (اللعبة ذاتها) الآن أحس بأني إلى الوراء قليلاً. (اللعبة ذاتها) لا تبق هناك (خلف الكرسي)، أنت تخيفني.

كلوف يعود إلى مكانه قرب الفوتيل.

كلوف: لو أستطيع قتله لَمُتُّ سعيداً.

(صمت)

هـام: كيف حال الطقس؟

كلوف: كالعادة.

هـام: انظر إلى الأرض.

كلوف: نظرت إليها.

هـام: بالمنظار.

كلوف: لا حاجة إلى المنظار.

هـام: انظر إليها بالمنظار.

كلوف: سأحضر المنظار.

يخرج

هـام: لا حاجة إلى المنظار!

(يدخل كلوف وفي يده المنظار)

كلوف: عدت بالمنظار. (يتوجه نحو النافذة إلى اليمين وينظر إليها). يلزمني السلّم.

هـــام: لماذا؟ هل قصرت؟ (كلوف يخرج وفي يده المنظار) لا أحب هذا، لا أحب هذا.

يدخل كلوف حاملاً السلّم وبدون المنظار.

كلوف: أحضرت السلّم. (يضع السلّم تحت النافذة إلى اليمين، يتسلّقه، ينتبه إلى أنه بدون المنظار، ينزل) أحتاج إلى المنظار.

يتوجه نحو الباب

هـــام: (بعنف) لكن المنظار معك.

كلوف: (متوقفاً، وبعنف) لا. المنظار ليس معي.

يخرج

هـــام: شيء حقير.

يدخل كلوف، في يده المنظار، يتوجه نحو السلّم.

كلوف: الأمور تستعيد حيويتها. (يتسلق السلّم، يوجه المنظار نحو الخارج. يفلت من يده فيسقط. صمت) فعلت عمداً. (ينزل يلم المنظار، ليتفحصه، يوجهه نحو الصالة) أرى... جموعاً في فرح جنوني

(صمت)

(يخفض المنظار، فإلى هام) ماذا؟ ألا نضحك؟

هـــام: (بعد تفكير) أنا لا.

كلوف: (بعد تفكير) ولا أنا أيضاً.

(يتسلق السلّم، يوجه المنظار نحو الخارج). لننظر...

(ينظر وهو يحرك المنظار) صفر... (ينظر)... صفر...
(ينظر) وصفر.

(يخفض المنظار، يلتفت نحو هام)

ماذا؟ مطمئن؟

هـام: لا شيء يتحرك. كل شيء...

كلوف: صفر.

هـام: لا أوجه إليك الكلام! (صوت عادي) كل شيء... كل شيء... كل شيء ماذا؟ (بعنف) كل شيء ماذا؟

كلوف: ما هو هذا الشيء الذي تسأل عنه؟ بكلمة؟ أهذا ما تريد معرفته؟ لحظة. (يحرك المنظار نحو الخارج، ينظر، يخفضه، يستدير نحو هام) جيفة. (صمت) والآن؟ مستريح؟

هـام: انظر إلى البحر.

كلوف: نفسه.

هـام: انظر إلى المحيط.

كلوف ينزل، يخطو بضع خطوات نحو النافذة إلى اليسار، يعود ويأخذ السلّم ويضعه تحت النافذة إلى اليسار، يتسلقه، يصوب المنظار نحو الخارج، ينظر طويلاً. ينتفض. يخفض المنظار، يفحصه، يصوبه من جديد.

كلوف: لا مثيل لما أرى!

هـام: (قلقاً) ماذا؟ شراع؟ زعانف؟ دخان؟

كلوف: (مكملاً) ضوء المنارة.

هـــام: (بارتياح) نعرف هذا.

كلوف: (على وضعه) بقاياه.

هـــام: أصله.

كلوف: نعم.

هـــام: والآن؟

كلوف: لم يبق منه شيء.

هـــام: ولا نوارس؟

كلوف: (على وضعه) نوارس!

هـــام: والأفق؟ لا شيء في الأفق؟

كلوف: (خافضاً المنظار، مستديراً نحو هام، وقد عيل بصره) لكن ماذا تريد أن يكون في الأفق؟

(صمت)

هـــام: الموج، كيف حال الموج؟

كلوف: الموج؟ (يصوب منظاره). من رصاص.

هـــام: والشمس؟

كلوف: (لا يزال ينظر) عدم.

هـــام: لا بد أن تغرب الآن. ابحث مرة أخرى.

كلوف: (وقد بحث) اللعنة على الشمس.

هـــام: إنه الليل إذن.

كلوف: (لا يزال ينظر) لا.

هـــام: إذن ماذا؟

كلوف: رمادي. (خافضاً المنظار ومستديراً نحو هام، بصوت أعلى) رمادي! (صمت. بصوت أعلى) رمادي!

ينزل، يقترب من هام من الخلف ويهمس في أذنه.

هـــام: رمادي! قلت رمادي؟

كلوف: أسود خفيف. يلف الكون.

هـــام: تبالغ. (صمت) لا تبق هنا، أنت تخفيني.

كلوف يعود إلى مكانه قرب الفوتيل.

كلوف: هذه المهزلة كل يوم؟

هـــام: الروتين. من يدري. (صمت) في الليلة الماضية نظرت داخل صدري، كان ثمة جرح كبير.

كلوف: رأيت قلبك.

هـــام: ما رأيت كان حياً. (صمت. بقلق) كلوف!

كلوف: نعم

هـــام: ماذا يجري؟

كلوف: شيء يتبع مجراه.

صمت

هـــام: كلوف!

كلوف: (منزعجاً) وماذا تريد أيضاً؟

هـــام: ألا ترى أننا في صدد أن نعني شيئاً؟

كلوف: نعني؟ نحن، نعني! (ضحكة قصيرة) نكتة!

هـــام: أتساءل. (صمت). تصور أن كائناً عاقلاً يعود إلى الأرض، ألا تظن أنه من الممكن أن تدور في ذهنه أفكار، إذا ما راقبنا كثيراً؟ (متمثلاً صوت الكائن العاقل) آه، عال، عرفت الحقيقة، نعم عرفت ما يفعلان).

(كلوف ينتفض، يفلت المنظار ويبدأ بحك أسفل بطنه بكلتا يديه. صوت عادي) حتى دون الذهاب بعيداً، نحن أنفسنا (بانفعال) نحن أنفسنا في لحظات. (بشدة) إن كل هذا لم يكن ربما عبثاً!

كلوف: (قلقاً وهو يحكّ) برغوث!

هـــام: برغوث! ألا يزال هناك براغيث!

كلوف: (وهو يحكّ) إلا إذا كانت قملة.

هـــام: (قلقاً) كأنما من هنا يمكن أن تعيد الإنسانية بناءها! التقطه بحق السماء!

كلوف: سأحضر البودرة.

يخرج

هـــام: برغوث! فظيع! أي يوم هذا!

يدخل كلوف، وفي يده علبة رش.

كلوف: عدت ومعي مبيد الحشرات.

هـــام: دعه يتناوله.

كلوف يحك قميصه من البنطلون، يفك الأزرار العليا للبنطلون، يبعده عن بطنه ويرش البودرة في الداخل. ينحني، ينظر، ينتظر، ينتفض، يعاود رش المسحوق بفزع، ينحني، ينظر، ينتظر.

كلوف: الحيوان!

هـــام:

هل اصطدته؟

كلوف: أظن ذلك. (يترك العلبة ويرتب ملابسه) إلا إذا كان في حالة مجامعة.

هـــام: مجامعة! تقصد جماعاً. إلا إذا كان في حالة جماع.

كلوف: آه! يقال جماع! أليس الصحيح لغوياً مجامعة؟

هـــام: ما بالك! إذا لم يكن في حالة مجامعة «فسنبتلي» نحن!

صمت

كلوف: والتبول؟

هـــام: أتبول.

كلوف: آه! رائع! رائع!

صمت

هـــام: (متحمساً) فلنمض نحن الاثنين معاً نحو الجنوب! على البحر! تصنع لنا مركباً صغيراً. تحملنا التيارات، بعيداً إلى حيث الحيوانات الثديية!

كلوف: معاذ الله!

هـــام: وحدي، سأبحر وحدي! حضّر لي هذا المركب الصغير فوراً. غداً سأكون بعيداً.

كلوف: (مسرعاً نحو الباب) سأبدأ فوراً.

هـــام: انتظر! (كلوف يتوقف) هل تعتقد أنه سيكون هناك سمك القرش؟

كلوف: سمك القرش؟ لا أعرف. إذا كان موجوداً فستكون موجودة.

يذهب نحو الباب.

هـــام: انتظر! (كلوف يتوقف) ألم يحن وقت حبة المسكّن؟

كلوف: (بعنف) كلا!

يذهب نحو الباب.

هـــام: انتظر! (كلوف يتوقف) كيف حال عينيك؟

كلوف: سيئة.

هـــام: لكنك ترى.

كلوف: ما يكفي

هـــام: كيف حال ساقيك؟

كلوف: سيئة.

هـــام: لكنك تمشي.

كلوف: أروح... وأجيء.

هـــام: في بيتي. (صمت. بنشوة وبنبرة نبوئية) يوماً ما ستصبح أعمى. مثلي. ستجلس في مكان ما، ذرّة ضائعة في

الفراغ، إلى الأبد، في القمة. مثلي. (صمت) يوماً ما ستقول، تعبت، أريد أن أجلس، وستجلس. ثم تقول لنفسك، أنا جائع، سأنهض وأحضر طعامي، لكنك لن تنهض. ستقول لنفسك، أخطأت في جلوسي، ولكن بما أني جلست فلأجلس مدة أطول ثم أقوم بعدها وأحضر طعامي. لكنك لن تنهض ولن تحضر طعامك (صمت) ستنظر قليلاً إلى الجدار، ثم تقول، سأغمض عينيّ، فأنام ربما قليلاً، وبعدها تتحسن الأمور، وتغمض عينيك. وعندما تفتحهما لن تجد جداراً. (صمت) الفراغ اللانهائي سيحاصرك، وكل الموتى الذين يبعثون من كل العصور لن يسدوا هذا الفراغ، وستكون أنت كحصى صغيرة وسط البراري. (صمت) نعم يوماً ما ستتذوق ما أنا فيه، ستكون مثلي، والفارق أنه لن يكون معك أحد، لأنك لم تشفق على أحد، ولأنه لن يكون هناك من يشفق عليه.

صمت

كلوف: غير مؤكد. (صمت) ثمّ فاتك شيء.

هـــام: آه؟

كلوف: أنني لا أستطيع الجلوس.

هـــام: (بعصبية) ترقد إذن. أو على الأقل تقف، تبقى واقفاً، كما هي الحال الآن. يوماً ستقول، تعبت، أريد أن أقف. على أي حال ما أهمية وضعية الجسم.
(صمت).

كلوف: تريد إذن أن أترككم؟

هـــام: بالطبع.

كلوف: إذن سأترككم.

هـــام: لا تستطيع أن تتركنا.

كلوف: إذن لن أترككم.

(صمت)

هـــام: لا يبقى إلا أن تجهز علينا. (صمت) سأقول لك كيف تفتح الخزانة إذا أقسمت بأنك ستجهز عليَّ.

كلوف: لن أستطيع أن أجهز عليك.

هـــام: إذن لن تجهز عليَّ.

(صمت)

كلوف: سأتركك. لدي مشاغل.

هـــام: هل تذكر يوم جئت إلى هنا؟

كلوف: كلا. كنت صغيراً جداً. هذا ما قلته لي.

هـــام: هل تذكر والدك؟

كلوف: (بتعب) الجواب إيّاه. طرحت عليَّ هذه الأسئلة ملايين المرات.

هـــام: أحب الأسئلة القديمة. (بحماس) آه! الأسئلة القديمة، الأجوبة القديمة، لا شيء مثلها! (صمت) أنا كنت بمثابة أبيك.

كلوف: نعم. (يحدق فيه بثبات) أنت كنت بمثابة ذلك.

هـــام: بيتي الذي كان بمثابة بيتك.

كلوف: نعم. (نظرة دائرية طويلة) كان بمثابة ذلك.

هـــام: (باعتزاز) من دوني (إشارة إلى نفسه) كنت بلا أب. من دون هام (حركة دائرية) كنت بلا بيت.

(صمت)

كلوف: سوف أتركك.

هـــام: هل حدث أن فكرت في شيء؟

كلوف: أبداً.

هـــام: اننا هنا في حفرة؟ (صمت) لكن خلف الجبال؟ هه؟ إن كانت لا تزال خضرة؟ هه؟ (صمت) زهور! نبات! (صمت. بنشوة) حقول! (صمت) ربما لن تحتاج إلى الذهاب بعيداً.

كلوف: أنا لا أستطيع الذهاب بعيداً. (صمت) سأتركك.

هـــام: كلبي جاهز؟

كلوف: تنقصه قدم

هـــام: حريري الملمس؟

كلوف: من نوع لولو.

هـــام: أحضره.

كلوف: تنقصه قدم.

هـــام: أحضره. (كلوف يخرج) الأمور تتقدم.

يخرج منديله، يمسح به وجهه دون أن يفرده، يعيده إلى جيبه. يدخل كلوف، حاملاً بإحدى القوائم الثلاث كلباً ـ دمية أسود.

كلوف: ها هي كلابك.

(يعطي الكلب لهام الذي يجلسه على ركبتيه، يتحسسه، يداعبه).

هـــام: إنه أبيض، أليس كذلك؟

كلوف: تقريباً.

هـــام: كيف تقريباً؟ أهو أبيض أم لا؟

كلوف: ليس أبيض.

(صمت)

هـــام: نسيت الجنس.

كلوف: (مغتاظاً) لكنه لم ينتهِ بعد. الجنس يأتي في المرحلة الأخيرة.

(صمت)

هـــام: لم تضع له شريطه.

كلوف: (بغضب) قلت لك إنه لم ينته. تنهي الكلب أولاً، ثم تضع له شريطه!

(صمت)

هـــام: هل يستطيع الوقوف؟

كلوف: لا أعرف

هـــام: حاول. (يعطي الكلب لكلوف الذي يضعه على الأرض) ماذا جرى؟

كلوف: انتظر.

القرفصاء، يحاول أن يجعل الكلب واقفاً، لكن لا ينجح، فيتركه. الكلب يقع على منكبيه.

هـــام: ماذا جرى؟

كلوف: إنه واقف.

هـــام: (متلمساً) أين؟ أين هو؟

(كلوف يوقف الكلب ويسنده)

كلوف: هنا.

(يأخذ يد هام ويقودها نحو رأس الكلب).

هـــام: (يده على رأس الكلب) هل ينظر إليَّ؟

كلوف: نعم.

هـــام: (باعتزاز) كأنه يطلب مني أن أصحبه في نزهة.

كلوف: إذا شئت.

هـــام: (بالنبرة إياها) أو كأنه يطلب مني أن أرمي له عظمة. (يسحب يده) اتركه هكذا واقفاً.

يتوسل اليّ.

(كلوف يستوي، يقع الكلب على جنبه)

كلوف: سأتركك.

هـــام: جاءتك رؤاك؟

كلوف: أقل من السابق.

هـــام: هل النور عند الأم بيغ مضاء؟

كلوف: نور؟ كيف تريد أن يكون النور عند أحد مضاء؟

هـــام: إذن انطفأ.

كلوف: بالطبع انطفأ. إذا لم يعد من نور فيعني أنه انطفأ.

هـــام: لا، أقصد الأم بيغ.

كلوف: بالطبع انطفأت؟ ما بالك اليوم؟

هـــام: أتبع مجراي. (صمت) هل دفنت؟

كلوف: دفنت؟ ومن سيدفنها؟

هـــام: أنت.

كلوف: أنا! أوَليس لدي ما يكفيني كي أقوم بدفن الناس؟

هـــام: لكنك ستدفنني.

كلوف: لا، لن أدفنك.

(صمت).

هـــام: كانت جميلة، فيما مضى، كزهرة في الحقول. ورائعة للرجال.

كلوف: ونحن أيضاً كنّا جميلين فيما مضى. من النادر ألا يكون الإنسان جميلاً فيما مضى.

(صمت).

هــــام: احضر لي العفافة.

(كلوف إلى الباب، يتوقف).

كلوف: افعل هذا، افعل ذاك، وافعل. لا أرفض أبداً. لماذا؟

هــــام: لا تستطيع أن ترفض.

كلوف: قريباً، لن أفعل.

هــــام: لن تستطيع. (كلوف يخرج) آه من الناس، آه من الناس، كل شيء يجب أن تفسره لهم.

(يدخل كلوف، العقافة في يده).

كلوف: هاك عقافتك. شُكَّها!

(يعطي هام العقافة، فيجهد مستنداً إليها، يميناً، يساراً فإلى الأمام، أن يحرك الفوتيل).

هــــام: هل تحركت؟

كلوف: لا.

(هام يرمي العقافة).

هــــام: أخضر المزيتة.

كلوف: ولماذا تريدها؟

هــــام: لأشحم العجلات.

كلوف: شحّمتها أمس.

هــــام: أمس! ماذا يعني أمس!

كلوف: (بعنف) يعني يوماً ملعوناً مرَّ.

أستعمل الكلمات التي علمتني إياها. إذا عادت لا تعني شيئاً فعلّمني كلمات أخرى. أو دعني أصمت.

(صمت)

هـــام: عرفت مجنوناً كان يتصور أن نهاية العالم حلّت. كان رساماً. كنت أحبه كثيراً، وأزوره في المصح. آخذه بيده وأجرّه نحو النافذة. انظر! هنا! كل هذا القمح الذي ينبت! وهناك! انظر! أشرعة صيادي سمك السردين. كل هذا الجمال! (صمت) كان ينتزع يده مني ويعود إلى ركنه. مذعوراً. لم يكن يرى سوى الرماد. (صمت) وحده أنقذ. نُسي. (صمت) يبدو أن حالته ليست... لم تكن نادرة.. جداً...

كلوف: مجنون؟ متى حدث ذلك؟

هـــام: أوه! منذ زمن بعيد، بعيد. لم تكن ولدتَ بعد.

كلوف: كانت أياماً!

(صمت. هام يرفع قلنسوته)

هـــام: كنت أحبه كثيراً. (صمت. يعيد قلنسوته. صمت) كان رساماً.

كلوف: العالم مليء بالأشياء الرهيبة.

هـــام: لم تعد بهذا القدر. (صمت). كلوف.

كلوف: نعم.

هـــام: ألا تعتقد بأن هذا دام ما فيه الكفاية؟

كلوف: نعم! (صمت) ماذا؟

هـــام: هذا . . هذا الشيء.

كلوف: لطالما اعتقدت بهذا (صمت) وأنت ألم تعتقد؟

هـــام: (حزيناً) إذن فهو يوم كسواه من الأيام.

كلوف: ما دام لم يمضِ. (صمت). كل الحياة التفاهات إياها.

(صمت)

هـــام: أنا لا أستطيع أن أتركك.

كلوف: أعرف. ولا تستطيع أن تتبعني.

(صمت)

هـــام: إذا تركتني كيف أعرف ذلك؟

كلوف: (بحيوية) ببساطة تصفر لي وإذا لم أهرع جرياً يعني أني تركتك.

(صمت)

هـــام: ألن تودعني؟

كلوف: لا أظن.

(صمت)

هـــام: لكن ربما تكون مت في مطبخك.

كلوف: سيكون الأمر سيان.

هـــام: ولكن كيف يمكنني أن أعرف ما إذا كنت مت في مطبخك؟

كلوف: لا بد أن أنتن في النهاية.

هـــام: أنت منتن أصلاً. رائحة الجثة تفوح في المنزل كله.

كلوف: في الكون كله.

هـــام: (غاضباً) اللعنة على العالم. (صمت). فكر بشيء.

كلوف: بماذا؟

هـــام: بفكرة... بارعة. (صمت. غاضباً) بحيلة!

كلوف: طيب! (يمشي جيئة وذهاباً، عيناه مركزتان على الأرض، يداه خلف ظهره. يتوقف) ساقاي تؤلمانني، غير معقول. لن أعود قريباً قادراً على التفكير.

هـــام: لن تكون قادراً على تركي. (كلوف يواصل سيره) ماذا تفعل؟

كلوف: أخطط. (يواصل سيره) آه!

(يتوقف)

هـــام: أي مفكر! (صمت) وماذا وجدت؟

كلوف: انتظر (يركز. غير مقتنع كثيراً) نعم... (صمت. أكثر اقتناعاً) وجدتها. أضع المنبه.

(صمت)

هـــام: قد لا أكون في أحد أيامي الجيدة. إنما..

كلوف: تصفر لي، فلا أحضر. إذا دق جرس المنبه أكون تركتك. إذا لم يدق أكون مت.

(صمت).

هـــام: هل يعمل؟ (صمت. بصبر فارغ) المنبه هل يعمل؟

كلوف: ولماذا لا يعمل؟

هـــام: من فرط ما عمل.

كلوف: لكنه بالكاد عمل.

هـــام: (غاضباً) إذن من فرط ما عمل قليلاً!

كلوف: سأرى. (يخرج. لعبة المنديل. دقة قصيرة للمنبه في الكواليس. يدخل كلوف، في يده المنبه. يقربه من أذن هام، يفتح الجرس. يصغي إلى رنينه حتى النهاية. صمت) يليق بيوم الحساب. هل سمعت؟

هـــام: بشكل غامض.

كلوف: النهاية خارقة.

هـــام: أفضل قرعه في الوسط. (صمت) ألم يحن وقت حبة المسكّن؟

كلوف: لا. (يتجه نحو الباب، يعود) سأتركك.

هـــام: حان وقت حكايتي. هل تريد أن تصغي إلى حكايتي؟

كلوف: كلا.

هـــام: اسأل أبي إذا كان يريد أن يصغي إلى حكايتي.

(كلوف يذهب نحو صندوقي القمامة. يرفع غطاء صندوق ناج. ينظر في الداخل، ينحني فوقه. صمت. يستوي)

كلوف: نائم.

هـــام: أيقظه:

(كلوف ينحني، يوقظ ناج بفتح جرس المنبه. كلمات مبهمة. كلوف يستوي)

كلوف: لا يريد أن يصغي إلى حكايتك.

هـــام: أعطِه حبة ملبس.

(كلوف ينحني. كلمات مبهة. كلوف يستوي)

كلوف: يريد فاكهة مجففة.

هـــام: أعطِه فاكهة مجففة.

(كلوف ينحني. كلمات مبهمة. كلوف يستوي)

كلوف: وافق! (كلوف يتوجه نحو الباب. يدا ناج تبرزان ممسكتين بغطاء الصندوق. ثم يظهر الرأس. كلوف يفتح الباب، يعود) هل تؤمن بالحياة القادمة؟

هـــام: لطالما كانت حياتي كذلك. (كلوف يخرج صافقاً الباب) أدركته.

نـــاج: أنا مصغٍ.

هـــام: أيها القذر. لم أنجبتني؟

نـــاج: لم أكن أعرف.

هـــام: ماذا؟ ما الذي لم تكن تعرفه؟

نـــاج: أنه ستكون أنت. (صمت) هل تعطيني حبة ملبس؟

هـــام: بعد الإصغاء.

نـــاج: أقسم.

هـــام: أقسمت.

نـــاج: بماذا؟

هـــام: بشرفي.

(صمت. يضحكان)

نـــاج: اثنتين؟

هـــام: واحدة.

نـــاج: واحدة لي وواحدة لـ. .

هـــام: واحدة فقط! اسكت! (صمت) أين كنا في الحكاية؟ (صمت. كئيباً) انكسرت الأشياء، انكسرنا. (صمت) ستنكسر. (صمت) لن يبقى كلام. (صمت) شيء يقطر في رأسي منذ عملية اليافوخ.

(جلبة ابتهاج مكبوتة تصدر من ناج).

تنسحق دائماً في المكان نفسه (صمت) قد كون عرقاً صغيراً. (صمت) أو ربما شرياناً صغيراً. (صمت. أكثر حيوية) يكفي، يكفي، إنه وقت الحكاية. أين كنا؟ (صمت. نبرة الراوية) جاءني الرجل ببطء، زاحفاً على بطنه. بشحوب وهزال رائعين كان يبدو على وشك أن (صمت. نبرة عادية) لا. سبق أن قلت هذا المقطع. (صمت. نبرة الراوية) ساد صمت طويل. (نبرة عادية) جميل هذا. (نبرة الراوية) حشوت ببطء غليوني. غليوني الخزف، أشعلته بـ. . فلنقل بكبريت الشمع، وسحبت عدة أنفاس». آه! (صمت) تفضل، تكلم (صمت) أذكر أن ذلك اليوم كان بارداً برودة غير عادية، ميزان الحرارة يشير إلى

الصفر. لكن بما أنها كانت ليلة الميلاد، فلم يكن في ذلك أمر غير عادي. هذا هو الطقس في مثل هذا الفصل. (صمت) هه! أية ريح قذرة أتت بك؟ رفع نحوي وجهه المسود من القذارة الممتزجة بالدمع. (صمت. نبرة عادية) سيمشي الحال. (نبرة الراوية) لا لا لا تنظر إليّ، لا تنظر إليّ! خفض نظره، وغمغم كما أعتقد بكلمات اعتذار. (صمت) أنا منشغل بما فيه الكفاية، كما تعلم، بالتحضير للعيد. (صمت. بقوة) لكن ما وراء اقتحامك هذا؟ (صمت) وكان ذلك اليوم، كما أذكر، مشرقاً، والحرارة خمسين في الهليومتر، لكن الشمس كانت بدأت تغرق في... عند الموتى (نبرة عادية) هذا جميل. (نبرة الراوية) هيا هيا قدم شكواك، لأعود إلى الأشغال الكثيرة التي تنتظرني. (نبرة عادية). هذه لغة أو فلا. (نبرة الراوية) وكان أن حسم موقفه. قال إنه صغيري.. له! له! طفل صغير. اسمعوا هذه الحكاية. قال ولدي الصغير. وكأنما تهمني مسألة أن يكون ذكراً أم أنثى. من أين جاءني؟ سمى لي الجحر. يبعد مسيرة نصف نهار ركوباً على الحصان. لن تخبرني أن هذا المكان لا يزال مأهولاً كلا! لا أحد سواه والطفل افتراضاً أنه موجود. طيب طيب. سألته عن الأحوال في كوف، في الطرف الثاني من المضيق. قال لي مقفر تماماً. يا عين يا عين. وتريد أن تقنعني بأنك تركت الطفل هناك، وحده، وحياً ايضاً! هيا! (صمت) كانت الريح، كما أذكر هوجاء، مئة درجة في

المرياح، كانت تقتلع أشجار الصنوبر الميتة وتجرفها بعيداً. (نبرة عادية) تعبير مهلهل نوعاً ما. (نبرة الراوية) هيا هيا قل ماذا تريد مني في النهاية، عليَّ أن أضيء شجرة الميلاد. (صمت) أخيراً فهمت أنه يريد مني خبزاً لابنه، خبز. متسول كباقي المتسولين! خبز؟ لكن ليس عندي خبز؛ فمعدتي لا تهضمه. طيب. إذن قمح؟ (صمت. نبرة عادية) سيمشي الحال! (نبرة الراوية) قمح، صحيح أن عندي قمحاً في اهرائي، لكن فكر، فكر. أعطيك قمحاً، كيلو، كيلو ونصف الكيلو، تأخذه إلى ابنك وتحضر له، إذا كان لا يزال حياً، عصيدة شهية. (ناج يتحرك لحديث الطعام). قدر أو قدر ونصف من العصيدة، المغذية. عال. فيستعيد لونه ـ ربما. ولكن ماذا بعد ذلك؟ (صمت) عيل صبري. لكن فكر، فكر، أنت على الأرض، ولا علاج لذلك! (صمت) كان الجو في ذلك اليوم، كما أذكر، شديد الجفاف، صفر في المرطاب. جو مثالي لمرضى داء المفاصل. (صمت. بغضب). لكن ماذا تأمل بحق السماء؟ بأن تولد الأرض من جديد في الربيع؟ بأن تمتلئ البحار والأنهار بالأسماك من جديد؟

أم أن السماء لا تزال تمطر مناً على الأغبياء أمثالك؟ (صمت) شيئاً فشيئاً رحت أستعيد هدوئي، هدوءاً يكفي لأسأله كم استغرقت المسافة معه للوصول إلى هنا. أجابني ثلاثة أيام كاملة. وسألته في أية حال ترك الطفل. غارقاً في النوم. (بعنف) لكن في أي نوم، في أي نوم؟ (صمت)

باختصار طلبت منه أن يشتغل عندي. لقد أثر فيَّ. وعندها عرفت أني فعلاً لم أعد من هذا العالم.

(يضحك. صمت) وماذا؟ (صمت) وماذا بعد؟ هنا إن كنت على حذر يمكن لك أن تموت بسلام وطمأنينة. (صمت) وماذا بعد؟ (صمت) وأخيراً طلب مني إن كنت أوافق على استقبال الطفل أيضاً - إن كان لا يزال على قيد الحياة (صمت) كانت اللحظة التي كنت أنتظرها. (صمت) وافقت على استقبال الطفل.

(صمت) ما زال ماثلاً أمامي، جاثياً، متكئاً بيديه على الأرض، محدقاً بي بعينين معتوهتين، على خلاف ما أريد. (نبرة عادية) سأنتهي من هذه الحكاية حالاً. (صمت) إلا إذا أدخلت عليها شخصيات أخرى. (صمت) لكن أين أجد هذه الشخصيات؟ (صمت) أين أبحث عنها؟ (صمت. يصفر. يدخل كلوف) فلنُصلّ للرب.

ناج: أريد ملبستي.

كلوف: في المطبخ فأر.

هام: فأر! ألا يزال هناك فئران؟

كلوف: في المطبخ واحد منها.

هام: ولم تُبِده؟

كلوف: ليس كلياً. عطلتنا أنت.

هام: لن يتمكن من الهرب؟

كلوف: لا.

هـــام: نقضي عليه لاحقاً. فلنُصلّ للرب.

كلوف: من جديد؟

نـــاج: ملبستي!

هـــام: الرب أولاً! (صمت) هل أنت مستعد؟

كلوف: (مستسلماً) هيّا!

هـــام: (إلى ناج) وأنت؟

نـــاج: (ضامّاً يديه، مغمضاً عينيه، تلاوة مسرعة) أبانا الذي.. في

هـــام: اصمت! صلِّ بصمت! قليلاً من التهذيب! هيا! (يتخذون وضع الصلاة. فأخذا همته قبل سواه) ماذا جرى؟

كلوف: (يفتح عينيه) أنا مستغن! وأنت؟

هـــام: يا للخيبة! (إلى ناج) وأنت؟

نـــاج: انتظر. (صمت. يفتح عينيه) إطلاقاً!

هـــام: القذر! إنه غير موجود!

كلوف: ليس بعد.

نـــاج: ملبستي!

هـــام: لم يتبقَّ ملبّس.

(صمت)

نـــاج: هذا طبيعي. أنا في النهاية والدك. صحيح أنه لو لم أكن

أنا لكان آخر. لكن هذا ليس عذراً. (صمت) راحة الحلقوم مثلاً التي لم تعد موجودة، كما نعرف جميعاً، أحبها كي لا أحب شيئاً في هذه الدنيا. وذات يوم، سأطلب منك أن تعطيني شيئاً منها، مقابل حنان مني، وستعدني أنت بذلك. فعلى الإنسان أن يجاري زمنه. (صمت) من كنت تنادي، عندما كنت صغيراً وخائفاً في العتمة؟ أمك؟ لا. أنا. كنا نتركك تبكي. ثم ننقلك إلى مكان بعيد، كي نتمكن من النوم. (صمت) كنت سعيداً كملك، فتوقظني أنت كي أصغي إليك. لم يكن ذلك ضرورياً بالنسبة إليك. ولم تكن فعلاً في حاجة إلى أن أصغي إليك. أنا أصلاً لم أصغ إليك. (صمت) آمل أن يأتي اليوم الذي تصير فيه محتاجاً فعلاً إلى إصغائي إليك، وإلى سماع صوتي، أي صوت. (صمت) أجل، آمل أن أحيا إلى ذلك اليوم، كي أسمعك تناديني كما كنت طفلاً، خائفاً في العتمة، وأنا أملك الوحيد. (صمت. ناج يطرق على غطاء صندوق نيل. صمت) نيل! (صمت. يطرق طرقاً أقوى) نيل!

(صمت. ناج يعود إلى داخل صندوقه، يغلق الغطاء. صمت).

هـــام: انتهى المزاح! (يمد يده متلمساً باحثاً عن الكلب) ذهب الكلب.

كلوف: إنه ليس كلباً حقيقاً. لا يستطيع أن يذهب.

هـــام: (متلمساً بيده) إنه ليس هنا.

كلوف: نام

هـــام: أعطينه. (كلوف يلتقط الكلب ويعطيه إلى هام. هام يمسكه بين ذراعيه. صمت. هام يرمي الكلب) حيوان قذر! (كلوف يبدأ بلم الأشياء المرمية على الأرض) ماذا تفعل؟

كلوف: أرتب الأشياء. (يستوي بحيوية) سأنظف المكان من كل هذه الأشياء!

(يعود إلى لمّ الأشياء)

هـــام: ترتيب الأشياء!

كلوف: (مستوياً) أحب الترتيب. هذا حلمي. عالم يكون فيه كل شيء ساكناً وجامداً وكل شيء في مكانه النهائي، تحت آخر ذرة غبار.

(يعود إلى لمّ الأشياء)

هـــام: (بصبر فارغ) بربك ماذا تعمل؟

كلوف: (مستوياً وبرفق) أعمل جاهداً لأخلق شيئاً من النظام.

هـــام: دعك من هذا.

(كلوف يترك الأشياء التي لمّها)

كلوف: في النهاية، ليس أمامنا سوى هنا أو أي مكان آخر.

(يتوجه نحو الباب)

هـــام: (مغتاظاً) ماذا حدث لقدميك؟

كلوف: قدماي؟

هـــام: كأن جيشاً يمشي . .

كلوف: لا بد أني انتعلت مداسي الكبير.

هـــام: هل كان البابوج يؤلمك!

(صمت)

كلوف: سأتركك.

هـــام: لا.

كلوف: وبماذا أفيد؟

هـــام: للحوار. (صمت) تقدمت في حكايتي. (صمت) تقدمت كثيراً. (صمت) اسألني أين وصلت فيها.

كلوف: أوه، بالنسبة إلى حكايتك؟

هـــام: (مستغرباً) أية حكاية؟

كلوف: تلك التي ترويها لنفسك أبداً.

هـــام: آه تقصد روايتي؟

كلوف: بالضبط.

(صمت)

هـــام: (غاضباً) اي، تابع، تابع الكلام.

كلوف: تقدمت فيها كثيراً، أتمنى ذلك.

هـــام: (بتواضع) آه، ليس كثيراً، ليس كثيراً. (يتنهد) هناك أيام كهذه الأيام لا يهبط فيه الإلهام على الإنسان. (صمت) لا حيلة لك في ذلك. وعندها عليك أن تنظر كي يهبط. ومن دون إكراه. من دون إكراه فهو محتوم. (صمت) غير أنني

تقدمت بها قليلاً. (صمت) إنها متطلبات المهنة، كما تعرف. (صمت. بغضب) قلت لك غير أنني تقدمت بها قليلاً.

كلوف: (بإعجاب). هكذا إذن! مع هذا استطعت أن تتقدم بها.

هـــام: (متواضعاً مرة أخرى) آه، ليس كثيراً، تعرف، ليس كثيراً، لكن مع هذا، خير من لا شيء.

كلوف: خير من لا شيء. وهل هذا ممكن؟

هـــام: سأرويها لك. جاء زاحفاً على بطنه.

كلوف: من هذا؟

هـــام: كيف؟

كلوف: من تعني بـ هو

هـــام: من أعني! شخصاً آخر.

كلوف: آه! هو! لم أكن متأكداً.

هـــام: زاحفاً على بطنه مستجدياً خبزاً لصغيره. منحناه وظيفة كبستاني. (كلوف يضحك) ماذا يُضحك في هذا؟

كلوف: وظيفة بستاني!

هـــام: أهذا ما يضحكك!

كلوف: أعتقد ذلك.

هـــام: ألا يكون الخبز؟

كلوف: أو الصغير.

(صمت)

هـــام: أعترف بأن كل ذلك مثير للضحك. هل تريد أن تقوم بحفلة قهقهة معاً؟

كلوف: لا أستطيع أن أقهقه مرة أخرى اليوم.

هـــام: (بعد تفكير) ولا أنا أيضاً. (صمت) استمر إذن. وقبل أن يقبل بالوظيفة ممتنّاً سألني إن كان يستطيع أن يحضر ابنه معه.

كلوف: كم عمره؟

هـــام: آه، ولد صغير.

كلوف: أكان يمكنه تسلّق الأشجار؟

هـــام: كل الأعمال الصغيرة.

كلوف: ثم لا بدّ أنه كبر

هـــام: على الأرجح.

(صمت)

كلوف: تابع، تابع!

هـــام: هذا كل شيء، توقفت هنا.

(صمت)

كلوف: هل تتصور كيف ستكون التتمة؟

هـــام: نوعاً ما.

كلوف: أليست في أخرياتها؟

هـــام: أخشى ذلك.

كلوف: أوه، سوف تعمل حكاية أخرى.

هـــام: لا أعرف. (صمت) أشعر بأنني قد فرغ. (صمت) الجهد الإبداعي الطويل. (صمت) ليتني أستطيع أن أجرّ نفسي إلى البحر! لتوسدت الرمل وجاء الموج.

كلوف: لم يعد هناك موج.

(صمت)

هـــام: اذهب وانظر إن ماتت.

(كلوف يذهب نحو صندوق نيل، يرفع الغطاء، ينحني. صمت)

كلوف: يبدو ذلك.

(كلوف يغلق الصندوق. يستوي. هام يرفع قلنسوته. صمت. يعتمرها.

هـــام: (من دون أن يترك قلنسوته) وناج؟

(كلوف يرفع غطاء صندوق ناج، ينحني. صمت)

كلوف: لا يبدو أنه مات.

(يغلق الصندوق، يستوي)

هـــام: (تاركاً قلنسوته) ماذا يفعل؟

(كلوف يرفع غطاء صندوق ناج، ينحني. صمت)

كلوف: يبكي.

(كلوف يغلق الغطاء. يستوي)

هـــام: إذن فهو حي. (صمت) هل عرفت مرة لحظة سعادة في حياتك؟

كلوف: ليس على حد علمي.

(صمت)

هـــام: خذني إلى تحت النافذة. (كلوف يتوجه نحو الكرسي) أريد أن أحس بالضوء على وجهي. (كلوف يدفع الكرسي) هل تذكر، عندما كنت، في البداية، تأخذني في جولاتي، كم كنت ترفع الكرسي عالياً، فتكاد في كل خطوة أن تقلبني من عن الكرسي؟ (بصوت مرتعش) لهون كثيراً، معاً، لهونا كثيراً. (بحزن) ثم اعتدنا ذلك. (كلوف يوقف الكرسي في مواجهة النافذة إلى اليمين) وصلنا؟ (صمت. يرفع رأسه. صمت) أهناك ضوء؟

كلوف: ليست هناك عتمة.

هـــام: (بغضب) أسألك إذا كان هناك ضوء.

كلوف: نعم.

(صمت)

هـــام: الستائر أليست مسدلة؟

كلوف: كلا.

(صمت)

هـــام: ايه نافذة هذه؟

كلوف: المشرفة على الأرض.

هـــام: كنت أعرف ذلك. (غاضباً) تلك ليس من ضوء هنا... إلى النافذة الأخرى! (كلوف يدفع الكرسي نحو النافذة الأخرى). المشرفة على الأرض! (كلوف يوقف الكرسي تحت النافذة الأخرى. هام يرفع رأسه) هذا هو الضوء. (صمت) كأنه شعاع شمس. (صمت) كلا؟

كلوف: كلا.

هـــام: أليس شعاع شمس ما أحسه على وجهي؟

كلا.

(صمت)

كلوف: أأنا شديد البياض؟ (صمت. بعنف) أسألك إذا كنت شديد البياض!

كلوف: ليس أكثر من المعتاد.

(صمت)

هـــام: افتح النافذة.

كلوف: لِمَ؟

هـــام: أريد أن أسمع البحر.

كلوف: لن تسمعه.

هـــام: حتى وإن فتحت النافذة؟

كلوف: كلا.

هـــام: إذن لا داعي لفتحها.

كلوف: كلا.

هـــام: (بعنف) إذن افتحها! (كلوف يتسلق السلّم، يفتح النافذة. صمت) هل فتحتها؟

كلوف: نعم.

(صمت)

هـــام: هل تقسم لي بأنك فتحتها؟

كلوف: نعم

هـــام: طيب. (صمت) يبدو أنه هادىء جداً. (صمت. بعنف) أسألك إذا كان البحر هادئاً جداً.

كلوف: نعم.

هـــام: ذلك لأنه لم يعد هناك ملاحون. (صمت) فجأة يقل حديثك معي. (صمت) أأنت على غير ما يرام؟

كلوف: بردان.

هـــام: في أي شهر نحن؟ (صمت) أغلق النافذة، سنعود. (كلوف يغلق النافذة، ينزل من على السلّم، يعيد الكرسي إلى مكانه، يبقى خلف الكرسي، مطرق الرأس) لا تبق هنا، أنت تخيفني. (كلوف يعود إلى مكانه قرب الكرسي) أبي! (صمت. بصوت أعلى) أبي! (صمت) اذهب لنعرف إذا سمع. (كلوف يتوجه نحو صندوق قمامه ناج، يرفع الغطاء، ينحني عليه، كلمات غير مفهومه. كلوف يستوي).

كلوف: نعم.

هـــام: المرتين؟

(كلوف ينحني. كلمات غير مفهومة. كلوف يستوي)

كلوف: مرة واحدة.

هـــام: الأولى أم الثانية؟

(كلوف ينحني. كلمات غير مفهومة. يستوي).

كلوف: لا يعرف.

هـــام: يبدو أنها الثانية.

كلوف: لن نعرف أبداً.

كلوف يغلق الصندوق.

هـــام: أما زال يبكي؟

كلوف: كلا.

هـــام: مساكين الموتى! ما أسرع اندثار ذكراهم. (صمت) ماذا يفعل؟

كلوف: يمتص بسكوتته.

هـــام: الحياة تستمر. (كلوف يعود إلى مكانه إلى جوار الكرسي) أعطني غطاء آخر، أرتعش من البرد.

كلوف: لم يعد عندنا أغطية أخرى.

(صمت)

هـــام: قبّلني. (صمت) ألا تريد أن تقبّلني؟

كلوف: لا.

هـــام: في جبهتي.

كلوف: لا أريد أن أقبّلك في أي مكان.

(صمت)

هـــام: (ماداً يده) أعطني يدك على الأقل. ألا تريد أن تعطيني يدك؟

(صمت)

كلوف: لا أريد أن ألمسك.

(صمت)

هـــام: أعطني الكلب. (كلوف يبحث عن الكلب)، لا، لا داعي لذلك.

كلوف: ألا تريد كلبك؟

هـــام: كلا

كلوف: إذن سأتركك.

هـــام: (هام مطرق الرأس، بشرود) عال!

(كلوف يتوجه نحو الباب، يستدير)

كلوف: إن لم أقتل هذا الفأر فسيموت.

هـــام: (على وضعه) عال! (كلوف يخرج. صمت)

عليَّ أن ألعب. (يخرج منديله، يفرده، يمسك به مفرداً أمامه). إننا نتقدم. (صمت) نبكي، نبكي، للاشيء، كي لا نضحك، وشيئاً فشيئاً... حزن حقيقي يجتاحك. (يطوي منديله، يعيده إلى جيبه، يرفع رأسه قليلاً) كل

هؤلاء كان في إمكاني أن أساعدهم. (صمت) أساعدهم! (صمت) أنقذهم (صمت) أنقذهم! (صمت) كان المكان يعجّ بهم. (صمت. بعنف) لكن فكر، فكر، أنت على الأرض ولا علاج لذلك! (صمت) اخرجوا من هنا وأحبوا بعضكم بعضاً. إلحس جارك كما تلحس نفسك! (صمت أهدأ) وعندما لم يكن ما يطلبونه خبزاً، كان حلوى. (صمت. بعنف) اغربوا عن وجهي وعودوا إلى احتفالاتكم الحسية! (صمت، بصوت خفيض). كل هذا، كل هذا! (صمت) ولا حتى كلب حقيقي! (أهدأ) النهاية في البداية ومع هذا نستمر. (صمت) يمكنني ربما أن أكمل حكايتي، أن أنهيها وأبدأ بأخرى. (صمت) ـ يمكنني ربما أن أرمي بنفسي أرضاً. (يدفع نفسه قليلاً بجهد وألم، ثم يتهالك). أن أغرز أظافري في الشقوق، وأجرجر نفسي إلى الأمام بأصابعي (صمت) وعندها تكون النهاية أتساءل ما الذي جاء بها، وأتساءل ما الذي (بتردد)... لماذا تأخرت كثيراً. (صمت) هنا سأكون في الملجأ القديم، وحدي أواجه الصمت و... (بتردد)... الشلل. لو أستطيع أن ألتزم الصمت، وأحتفظ بهدوئي، فسوف ينتهي كل صوت، وكل حركة، وكل شيء. (صمت) أكون ناديت أبي وأكون ناديت (يتردد)... ابني. وحتى مرتين أو ثلاث مرات إذا لم يسمعاني في المرة الأولى أو الثانية. (صمت) سأقول لنفسي، سيعود. (صمت) وبعدها؟ (صمت) وبعدها؟ (صمت) لن يستطيع العودة لأنه يكون ذهب

بعيداً. (صمت) وبعدها؟ (صمت. بانفعال) كل أنواع التصورات! هذا لأنني مراقب! فأر! خطوات! عيون! الأنفاس التي نحبسها ثم... (يتنفس) ثم ثرثرة، ثرثرة، كلمات، كطفل وحيد يجعل نفسه أطفالاً عده، اثنين، ثلاثة، ليكون في جمع، ليتهامسوا معاً في العتمة. للحظات فوق اللحظات، وقع، كحبات قمح ذلك... (متردداً) اليوناني العجوز، وننتظر طيلة الحياة كي تصنع لك هذه اللحظات حياة. (صمت) يفتح فمه ليستأنف الكلام، فيعدل عن ذلك. صمت) دعنا من هذا، دعنا من هذا! (يصفر، يدخل كلوف، في يده المنبه. يقف قرب الكرسي) ماذا؟ لا ذهبت ولا متّ؟

كلوف: بالفكر فقط.

هـــام: أيهما.

كلوف: كلاهما.

هـــام: بعيداً مني تموت.

كلوف: والعكس صحيح.

هـــام: (باعتزاز) بعيداً مني تموت. (صمت) وذلك الفأر؟

كلوف: هرب.

هـــام: لن يذهب بعيداً. (صمت) ألا ترى ذلك؟

كلوف: لا يحتاج إلى الذهاب بعيداً.

(صمت)

هـــام: ألم يحن وقت المسكّن؟

كلوف: أجل.

هـــام: آه! أخيراً! أعطني حبة بسرعة!

كلوف: لم يعد هناك حبوب مهدئة!

(صمت)

هـــام: (مذهولاً) حبة... ! (صمت) لم يعد هناك حبوب مهدئة!

كلوف: لم يعد هناك حبوب مهدئة. لن تحصل على حبوب مهدئة بعد الآن.

(صمت)

هـــام: والعلبة الصغيرة المستديرة. كانت مليئة.

كلوف: صحيح، لكنها الآن فارغة.

(صمت. يبدأ كلوف بالدوران في الغرفة. يبحث عن مكان يضع فيه المنبه)

هـــام: (بصوت منخفض) ماذا سأفعل (صمت. زاعقاً) ماذا سأفعل؟ (كلوف يتنبه إلى اللوحة، ينزلها، يضعها على الأرض وجهها للحائط، يعلق المنبه مكانها) ماذا تفعل؟

(صمت)

كلوف: أعبئ المنبه.

(صمت)

هـــام: انظر إلى الأرض.

كلوف: مرة أخرى؟

هـــام: ما دامت تناديك.

كلوف: هل يؤلمك حلقك؟ (صمت) هل تريد حبة دواء؟ (صمت) كلا؟ (صمت) خسارة.

(يذهب وهو يدندن أغنية نحو النافذة إلى اليمين، يتوقف أمامها، ينظر إليها، رافعاً رأسه)

هـــام: لا تغنِّ!

كلوف: (يلتفت نحو هام) ممنوع على الواحد أن يغني؟

هـــام: كلا!

كلوف: إذن كيف يمكن أن تكون النهاية؟

هـــام: أنت تريد أن تكون النهاية؟

كلوف: أنا أريد أن أغني.

هـــام: لا أستطيع منعك.

(صمت. كلوف يستدير نحو النافذة).

كلوف: ماذا فعلت بذلك السلّم؟ (يبحث عنه بعينيه) ألم تر ذلك السلّم؟ (يبحث فيراه) أوه! أخيراً. (يذهب نحو النافذة إلى اليسار) أتساءل أحياناً ما إذا كنت أتمتع بكامل عقلي. ثم أتجاوز ذلك، فأعود صافي الذهن. (يتسلق السلم، ينظر من النافذة) العاهرة! إنها تحت الماء. (ينظر) كيف يحدث ذلك؟ (يُخرج رأسه، واضعاً يديه فوق عينيه) مع أنها لم تمطر. (يمسح الزجاج، ينظر. صمت. يخبط على جبهته) ما أغباني! أخطأت في الجهة! (ينزل من على السلّم،

يخطو بضع خطوات نحو النافذة إلى اليمين) تحت الماء! (يستدير ويأخذ السلّم) ما أغباني! (يجرّ السلم نحو النافذة إلى اليمين) أتساءل أحياناً إذا كنت أتمتع بكامل قواي العقلية. ثم أتجاوز ذلك، ويعود إليَّ ذكائي. (يضع السلّم تحت النافذة إلى اليمين، يتسلقه، ينظر من النافذة. يلتفت إلى هام) هل تريدني أن أركز على قطاعات معينة؟ أم على الكل؟

هـــام: الكل.

كلوف: التأثير العام؟ (صمت. يستدير نحو النافذة) لحظة. (ينظر)

هـــام: كلوف!

كلوف: (مستغرقاً) ايه. . .

هـــام: هل تعرف شيئاً؟

كلوف: (على وضعه) ايه.

هـــام: لم أكن أبداً هناك. (صمت) كلوف!

كلوف: (ملتفتاً إلى هام مغتاظاً) ماذا؟

هـــام: لم أكن أبداً هناك.

كلوف: من حسن حظك.

(ينظر من النافذة)

هـــام: دائماً. غائب. كل شيء حدث من دوني. لا أعرف ماذا حدث. (صمت) هل تعرف، أنت، ماذا حدث؟ (صمت) كلوف.

كلوف: (يستدير نحو هام مغتاظاً) هل تريدني أن أنظر إلى هذه القاذورة، أم لا؟

هـــام: أجب أولاً.

كلوف: ماذا؟

هـــام: هل تعرف ماذا حدث؟

كلوف: أين؟ متى؟

هـــام: (بعنف) متى! ما حدث! ألا تفهم؟ ماذا حدث؟

كلوف: وأية أهمية لذلك؟

(ينظر إلى النافذة)

هـــام: أنا لا أعرف.

(صمت. كلوف يلتفت نحو هام)

كلوف: (بقسوة) عندما قصدتك الأم بيغ وطلبت منك شيئاً من الزيت لمصباحها وطردتها، في تلك اللحظة، كنت تعرف ماذا يحدث، أليس كذلك؟ (صمت) هل تعرف ما أمات الأم بيغ؟ العتمة.

هـــام: (بوهن) لم يكن عندي زيت.

كلوف: بلى، كان عندك.

(صمت)

هـــام: المنظار معك؟

كلوف: الأشياء واضحة أمامي بلا منظار.

هـــام: اذهب وأحضره.

(صمت. كلوف يرفع عينيه نحو السماء، وذراعيه في الهواء، وقبضته مضمومة. يفقد التوازن، فيتشبث بالسلّم. ينزل بضع درجات. يتوقف).

كلوف: هناك شيء لا أستطيع تفسيره. (ينزل، يتوقف) لماذا أطيعك باستمرار؟ هل تستطيع أن توضح لي ذلك؟

هـام: كلا... ربما الشفقة. (صمت) نوع من الشفقة الكبيرة. (صمت) أوه لن تدرك ذلك بسهولة، لن تدرك ذلك بسهولة.

(صمت. كلوف يبدأ بالدوران في الغرفة. يبحث عن المنظار)

كلوف: طفح الكيل. سئمت من قصصنا. (يبحث) ألست جالساً عليه؟

(يحرك الكرسي، ينظر حيث كان، يعود إلى البحث)

هـام: (قلقاً) لا تتركني هنا! (كلوف يعيد بغضب الكرسي إلى مكانه، يعود إلى البحث. بوهن) هل أنا في الوسط تماماً؟

كلوف: يلزم ميكروسكوب لنجد ذلك ـ (يرى المنظار) آه. وأخيراً! (يلمّ المنظار، يتوجه نحو السلّم، يتسلقه، يصوب المنظار نحو الخارج)

هـام: أعطني الكلب.

كلوف: (وهو ينظر) اسكت.

هـام: (بصوت أعلى) أعطني الكلب!

(كلوف يترك المنظار، يأخذ رأسه بين يديه. صمت. ينزل بسرعة من على السلّم، يبحث عن الكلب، يجده، يعجل نحو هام، يخبطه بقسوة على رأسه بالكلب).

كلوف: تفضل كلبك.

(الكلب يسقط على الأرض. صمت)

هـــام: ضربني!

كلوف: أنت تجنني، أنا مجنون!

هـــام: إذا أردت أن تضربني، فاضربني بالفأس. (صمت) أو بالعقاف، اضربني بالعقاف. وليس بالكلب، بالفأس أو بالعقاف.

(كلوف يلتقط الكلب ويعطيه إلى هام الذي يأخذه بين ذراعيه.

كلوف: (متوسلاً) أرجوك، فلنكف عن اللعب.

هـــام: أبداً! (صمت) ضعني في نعشي.

كلوف: لم تعد هناك نعوش.

هـــام: إذن فلتأتِ النهاية! (كلوف يذهب نحو السلم. بعنف) وبضجة عنيفة! (كلوف يتسلق السلم، يتوقف، ينزل، يبحث عن المنظار، يلتقطه، يتسلق ثانية السلم، يرفع المنظار) من القمة! وأنا؟ هل أشفق أحد عليَّ؟

كلوف: (يخفض المنظار، يلتفت نحو هام) ماذا؟ (صمت) أتقصدني أنا؟

هـــام: (غاضباً) إنها مفاجأة! يا غبي!

أهي المرة الأولى التي تسمع فيها مفاجأة؟ (صمت) أتهيأ لمونولوجي الأخير.

كلوف: أحذرك. أريد أن أنظر إلى هذه القذارة ما دمت أمرتني بذلك. لكنها ستكون المرة الأخيرة. (يصوب المنظار) لنرَ. . . (يحرك المنظار) لا شيء. . . لا شيء. . طيب. . عال. . . لا شيء. . طيـ. . .

(ينتفض، يخفض المنظار، يتفحصه، يصوبه من جديد. صمت) لهْ! لهْ! له!

هـــام: تعقيدات جديدة! (كلوف ينزل من على السلم) أرجو أن لا تكون حبكة.

(كلوف يقرب السلم من النافذة، يتسلقه، يصوب المنظار. صمت)

كلوف: لهْ! لهْ! له!

هـــام: أهي ورقة؟ زهرة؟ رأس بندو (يتثاءب) رة؟

كلوف: (ناظراً) بندورة! هناك شخص! هناك شخص.

هـــام: إذن، اذهب واقضِ عليه. . (كلوف ينزل من على السلم) شخص! (مرتعشاً) قم بواجبك! (كلوف يسرع نحو الباب) لا، لا داعي لذلك. (كلوف يتوقف) لم تبعد؟

(كلوف يعود إلى السلم، يتسلقه، يصوب المنظار)

كلوف: أربعة. . . وسبعين متراً.

هـــام: مقترباً؟ مبتعداً؟

كلوف: (مستمراً في النظر) جامد.

هـــام: الجنس؟

كلوف: وما أهمية ذلك؟ (يفتح النافذة، لينحني إلى الخارج. صمت. يستوي، يخفض المنظار، يلتفت نحو هام. برعب) يبدو أنه طفل صغير.

هـــام: ماذا يشغله؟

هـــام: ماذا؟

هـــام: (بعنف) ماذا يفعل؟

كلوف: (على حاله) لا أعرف ماذا يفعل الأطفال. (يصوب المنظار. صمت. يلتفت نحو هام) يبدو وكأنه قاعد على الأرض، ومستند إلى شيء ما.

هـــام: الحجر المرتفع. (صمت) بصرك يتحسن. (صمت) ينظر، بلا شك إلى البيت بعيني موسى المحتضرتين.

كلوف: كلا.

هـــام: إلامَ ينظر؟

كلوف: (بعنف) لا أعرف إلامَ ينظر. (يصوب منظاره. صمت. يخفض المنظار، يلتفت نحو هام) سرته. (صمت) لماذا كل هذا الاستجواب؟

هـــام: لعله مات.

كلوف: سأذهب وأتحقق. (ينزل من على السلم، يرمي المنظار،

يتوجه نحو الباب، يتوقف) سآخذ العقاف.

(يبحث عن العقاف، يلتقطه، يتوجه نحو الباب)

هـــام: لا حاجة لذلك.

(كلوف يتوقف)

كلوف: لا حاجة لذلك!! وأولاد بالقوة والاحتمال!

هـــام: إذا كان فعلاً موجوداً فسيأتي إلى هنا أو سيموت هناك. وإذا لم يكن موجوداً...

(صمت)

كلوف: ألا تصدقني؟ أتظن أني أخترع؟

(صمت)

هـــام: إنها النهاية يا كلوف، وصلنا إلى النهاية، لم أعد في حاجة إليك.

(صمت)

كلوف: هذا ما أريده.

(يتوجه نحو الباب)

هـــام: اترك لي العقاف.

(كلوف يعطيه العقاف، يتوجه نحو الباب، يتوقف، ينظر إلى المنبّه، ينزله. يبحث عن المكان الملائم ليضعه فيه، يتوجه نحو السلم، يضع المنبّه على السلم، يعود إلى مكانه قرب الكرسي. صمت).

كلوف: سأتركك.

(صمت)

هـــام: قبل أن تذهب... قل شيئاً.

كلوف: ليس عندي شيء أقوله.

هـــام: بضع كلمات... أرددها... في قلبي!

كلوف: قلبك!

هـــام: نعم (صمت. بعنف) نعم! مع ما تبقى، في النهاية، الظلال، الهمسات، كل المتاعب، لأنتهي بها.

(صمت) كلوف... (صمت) لم يكلمني أبداً. ثم، في النهاية، وقبل أن يرحل، ومن دون أن أطلب منه شيئاً، كلمني. قال لي...

كلوف: (بيأس) أوه!

هـــام: شيء... من قلبك.

كلوف: قلبي!

هـــام: بضع كلمات... من قلبك.

كلوف: (مغنياً):

أيها العصفور الجميل اترك قفصك

طر نحو حبيبي

عشش في ثيابها

أخبرها كم أنا حزين.

(صمت)

أيكفي؟

هـــام: (بمرارة) بصاق!

(صمت)

كلوف: (بنظر ثابت، وصوت غائب) قالوا لي هذا هو الحب.. أجل، أجل، صدقني، تعرف الآن جيداً...

هـــام: أفصح!

كلوف: (مكملاً) ما أسهله! قالوا لي، هذه هي الصداقة، أجل، أجل، أؤكد لك، أنت لا تحتاج إلى الذهاب بعيداً. قالوا لي هذا هو المكان، توقف، ارفع رأسك وتملَّ كل هذه الروعة، كل هذا النظام. قالوا لي، دعك من هذا، أنت لست بهيماً، فكر في هذه الأمور، وسترى كيف سيصير كل شيء واضحاً. وبسيطاً! قالوا لي أية عناية يلقاها كل هؤلاء الذين جرحوا؟

هـــام: كفى.

كلوف: (مكملاً) أقول لنفسي أحياناً، عليك يا كلوف أن تتعلم كيف تتعذب أفضل من ذلك إذا كنت تريدهم أن يتعبوا من تعذيبك ذات يوم. لكنني أشعر بأنني جد عجوز، وجد بعيد كي أستطيع أن أكوّن عادات جديدة. حسناً، لن ينتهي ذلك أبداً، ولن أرحل أبداً. (صمت) ثم فجأة وذات يوم، ينتهي الأمر، يتغير. ولا أفهم، تموت الأشياء أم أنا أموت، هذا لا أفهمه أيضاً. أسائل الكلمات التي بقيت ـ النوم، المشي، الصباح، المساء، فلا تقول شيئاً. (صمت)

افتح باب الزنزانة وأمضي محنياً فلا أرى سوى قدمي. فتحت عيني، وبين ساقيَّ شيء من غبار أسود. أقول لنفسي انطفأت الأرض، مع أني لم أرها أبداً مضيئة. (صمت) الذهاب سهل. (صمت) وعندما أقع سأبكي من السعادة.

(صمت. يتوجه نحو الباب)

هـــام: كلوف! (كلوف يتوقف من دون أن يلتفت. صمت) لا شيء. (كلوف يستأنف سيره) كلوف!

(كلوف يتوقف من دون أن يلتفت)

كلوف: هذا ما نسمّيه الخروج.

هـــام: أشكرك يا كلوف.

كلوف: (ملتفتاً، بحيوية) آه، عفواً، أنا من يجب أن أشكرك.

هـــام: كلانا يشكر الآخر. (صمت. كلوف يتوجه نحو الباب) شيء آخر. (كلوف يتوقف) خدمة أخيرة. (كلوف يخرج) غطني بالملاءة. (صمت طويل) لا؟ حسناً. (صمت) دوري. (صمت) باللعب. (صمت. متعباً) نهاية اللعبة القديمة الخاسرة، العب واخسر وانتهِ من الخسارة. (صمت، أكثر حيوية) لنرَ. (صمت) آه، نعم! (يحاول تحريك الكرسي مستعملاً العقاف، كما فعل سابقاً. في هذه الأثناء يدخل كلوف مرتدياً ثياب الخروج، قبعة من القش، سترة من التويد، على يده مشمّع (واقٍ من المطر)، مظلة، حقيبة. واقفاً، أمام الباب غير ظاهر عليه التأثر،

عيناه مثبتتان على هام، جامداً حتى النهاية. هام يعدل عن محاولة تحريك الكرسي). حسناً. (صمت). لنرمِ (يرمي العقاف، يريد أن يرمي الكلب، يتردد) بهدوء! (صمت) والآن؟ (صمت) لنرفع. (يرفع القلنسوة). الراحة... لردفينا. (صمت) لنعد! (يعيد قلنسوته) مساواة. (صمت. يرفع نظارتيه) لنمسح. (يخرج منديله ومن دون أن يفرده يمسح النظارتين) ولنعده. (يعيد المنديل) قادمون. نبض تناهات أخرى وأنادي. (صمت) شيئاً من الشعر. (صمت) كنت تنادي ـ (صمت. يصحح لنفسه) كنت تصخي إلى الليل أن يأتي. فها هو ـ (صمت. يصحح لنفسه) يهبط. (يكررها، مترنماً) كنت تصخي إلى الليل أن يأتي، فها هو يهبط. (صمت) عبارة جميلة! (صمت) وبعدها؟ (صمت) لحظات من العدم الآن وإلى الأبد، ولم يكن زمان، مر وانتهى الحساب واختتمت الحكاية. (صمت بنبرة الراوية) لو كان في مقدوره أن يكون طفله معه... (صمت) كانت اللحظة التي أنتظرها (صمت) ألا تريد أن تتخلى عنه؟ كنت تريده أن يكبر في حين أنك تصغر؟ (صمت) أن يكون موجوداً ليواسيك في اللحظات المليون الأخيرة؟ (صمت) على أنه لا يدرك، ما كان قد عرفه الجوع، والبرد، والموت. لكن أنت، عليك أن تعرف ما هي حال الأرض هذه الأيام. (صمت) أوه! وضعته أمام مسؤولياته. (صمت. نبرة عادية) طيب، ها أنذا، وهذا يكفي (يرفع الصفارة، يتردد، يتركها. صمت) نعم، أبي، أبي!

(يصفر. صمت. يصفر أقوى. صمت) حسناً (صمت) أبي! (صمت. بصوت أقوى) أبي! (صمت) حسناً. (صمت) وصلنا. (صمت) وللختام؟ (صمت) أرمي! (يرمي الكلب، ينتزع الصفارة) مع تحياتي! (يرمي الصفارة أمامه. صمت. يشمشم بأنفه. بصوت منخفض) كلوف! (صمت أطول) لا، حسناً. (يخرج منديله) بما أنها الطريقة التي لعبنا بها (يفرد المنديل) فلنلعبها هكذا... (يفرد المنديل) ونكف عن الكلام عليها. (يمسك بالمنديل مفرداً أمامه) أيتها الضمادة القذرة (صمت) أنت أحتفظ بك. (صمت. يقرب المنديل من وجهه).

ستار

هذا الكتاب

نهاية اللعبة هي المسرحية الثانية التي كتبها صموئيل بيكيت بعد «في انتظار جودو» ويعتقد النقاد أن هذه المسرحية أكثر بلورة وقوة، وكثافة، وتقنية، (أي درامية) من مسرحيته الأولى. وإذا كان بيكيت في هذه المسرحية الأولى «في انتظار جودو» جرّب في الكتابة المسرحية أشياء من الرواية والشعر، فإنه في مسرحيته الثانية امتلك وبسرعة مذهلة الأدوات والتقنيات المسرحية التي تجسّدت خصوصاً في اللغة، وفي تحريك الشخصيات، والحوار والحركات.


ISBN 978-9933350291
9 789933 350291

